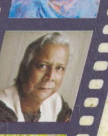


د/ محمد سعد أبو العزم

رجال صنعوا التغيير





٢٠٠٩

إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع

رجال صنعوا التغيير

رجال صنعوا التغيير

د. محمد سعد أبو العزم

٢٠٠٩م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد

الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

أبو العزم ، محمد سعد

رجال صنعوا التغير / محمد سعد أبو العزم .

ط١

القاهرة: مكتبة إيتراك، ٢٠٠٩ ١٨٨ص ؛ ٢٤ سم .

تدمك: 977-383-156-6

١ ـ الرجال ـ تراجم

أ. العنوان ٩٢٠,٧١

اسم الكتاب: رجال صنعوا التغير

اسم المؤلف: محمد سعد أبو العزم .

رقم الطبعة: الأولى

السنة: ٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٥٤١ / ٢٠٠٩

الترقيم الدولي: 977-383-156-6

اسم الناشر: إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان: ١٢ ش حسين كامل سليم ـ ألماظة ـ مصر الجديدة

المحافظة: القاهرة

التليفون: ٢٤١٧٢٧٤٩

اسم المطبعة: الدار الهندسية

العنوان: ٤ ش فتحي سلامة ـ بجوار مسجد السلام ـ الوراق


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى كل من له علي فضل

إلى أمي وأبي وزوجتي

إلى الإخوة الأعزاء جميعا

إليكم أهدي هذا الكتاب

المقـــدمة

هل يمكنك فعلا أن تحقق النجاح وتصنع التغيير؟

هل يمكن في وسط هذه العتمة الشديدة وهذا الكم الهائل من المثبطات أن يتولد الأمل؟

هل هناك أمل أن نرى نماذج تشق طريقها نحو النجاح بالمجهود الفردي وبالإرادة الصلبة لتسهم في قيادة المجتمع نحو مستقبل أفضل؟

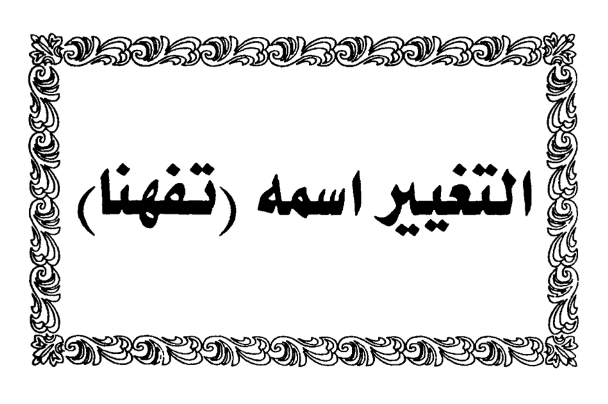
بين صفحات الكتاب ستجد الإجابة ببساطة وبوضوح عن جميع الأسئلة السابقة بكلمة واحدة هي.. نعم يمكن ذلك

ففي ظل المعاناة التي يعيشها المجتمع والأوضاع التي تزداد صعوبة يوما بعد يوم، وما صاحب ذلك من علو قامات من كنا نظنهم أقزاما، وارتفاع لشأن الكثير من المنتفعين والمتسلقين وأنصاف الرجال، كل ذلك أدى إلى مناخ يسوده الإحباط واليأس من المستقبل وفقدان الأمل من حدوث تغيير ملموس للأوضاع الحالية في القريب العاجل، وهو ما انعكس بدوره على الأجيال الجديدة من الشباب التي غاب عنها الحلم الوطني وخفت الشعور بالانتماء للوطن ولم تسمع أو تشاهد القدوة التي يرى من خلالها الجميع النموذج للنجاح والأمل في التغيير.

وبالتالي كانت الحاجة الملحة أن نشاهد شعاع النور الذي يحيي الأمل في النفوس ويؤكد إمكانية النجاح ويرفع من الروح المعنوية لهذه

الأجيال .. ومن هنا كانت الفكرة الأساسية للكتاب التي تركز على مثل تلك النماذج التي صنعت الفارق وأحدثت التغيير وعاشت قصة نجاح بدأت من الصفر لنتعلم كيف استطاع هؤلاء صناعة نجاحهم وكيف قادوا التغيير لمجتمعهم نحو الأفضل.

ستطوف الرحلة بنا مع قصص نجاح لأسماء معاصرة تعيش بيننا بعضنا يعرفها وأسماء أخرى قد تكون مجهولة للكثيرين، ولكنها جميعا تتميز بخوضها لتجربة ثرية تستحق أن نتوقف عندها كثيرا لنحصل على الدرس والعبرة ونبني جميعا مستقبل أفضل لنا ولبلادنا من خلال رجال ونساء قهروا المستحيل وصنعوا التغيير.



التغيير اسمه (تفهنا)

التغيير اسمه (تفهنا)

إنها ليست مجرد قصة نجاح لقرية استطاعت الخروج من دائرة الفقر وصناعة التميز ولكنها تجربة تثبت بالدليل القاطع إمكانية المجتمع لإحداث وقيادة التغيير، من دون التذرع بالتقصير الحكومي.

قرية تفهنا الأشراف اسم لقرية مصرية تقع في أغوار مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، يفصل بينها وبين القاهرة ١٢٠ كيلومترًا، وهي قرية فقيرة يبلغ عدد سكانها خمسة آلاف نسمة، ومساحة زراعية محدودة تقل عن خمسمائة فدان، وحتى عام ١٩٦٦ لم يكن بها شخص واحد في أي مرحلة تعليمية، وكانت معروفة بتصدير عمال التراحيل للمناطق المحيطة، إلى هنا تبدو الأمور عادية ولكنها اختلفت تماما بعد العام ١٩٨٤ وهو العام الفارق، الذي جعل من القرية مادة لرسائل الماجستير والدكتوراه، في إرادة التغيير والاكتفاء الذاتي ومحاربة الفقر.

بداية الملحمة

شهد ذلك العام بداية الملحمة عندما قام مهندسان من شباب القرية بعمل مزرعة للدواجن حيث خصصا نسبة ١٠٪ من الربح لإنفاقها في وجوه الخير وسمياه "سهم الشريك الأعظم"، وعندما نجح المشروع الأول قاما

بعمل مزرعة ثانية ثم ثالثة، لتزيد نسبة الأرباح التي تدخل نفس الوعاء إلى ٣٠ ٪، ثم جعلا كل أرباح أعمالهم الجديدة لله.

في هذه الأثناء تفتق ذهن أحد الشابين إلى فكرة تطوير القرية من خلال العمل الجماعي، فتم عقد اجتماع عام لأبناء القرية، وتحدث المهندسان وأعلنا عن فكرة إنشاء مركز إسلامي متكامل بالبلدة يشارك في إنشائه الجميع كعائلة واحدة لها قيادة جماعية، وتم اختيار المهندس" صلاح عطية" صاحب الفكرة والأب الروحي للقرية لقيادة المركز الإسلامي، ليبدأ العمل الجاد من الجميع، حيث كانت رؤية ذلك الرجل أن تقدم الأفراد والشعوب والأمم لا يتم إلا بالعمل والتعاون والتكافل، فوضع أمامه النموذج النبوي للدولة حين كان يعطى الطعام للفقير، لا ليأكله ولكن ليعينه على العمل ويصبح منتجا في مجتمع المنتجين.

وبالتالي بدأت عملية حصر السكان والفقراء ليتم جمع الزكاة من الجميع حسب نشاطهم، فالمزارع يعطي من محصوله، والتاجر يعطي مما لديه من سلع حتى الأطباء قام كل منهم بمتابعة حالات محددة من مرضى القرية الفقراء كزكاة عن عملهم.

وعند إنفاق الزكاة لم يعط الفقراء أموالاً لأن ذلك لا يساهم في القضاء على الفقر، وإنما أصبح الجميع منتجا فتم توزيع " ٤٠ شاة" على الأرامل في السنة الأولى لتزداد عاما بعد عام، ويحصل كل فقير بعد ذلك على "عجل جاموس" وستة قراريط لزراعتها برسيماً.



أجندة الإصلاح في تفهنا

كانت القضية التالية في أجندة الإصلاح لدى المهندس "صلاح عطية" هي محاربة البطالة فبدأت عملية تقديم أدوات الحرف للشباب العاطل سواء للنجارة أو الميكانيكا أو الحدادة مع توفير الفرصة لمشاريع صغيرة أخرى تقدم للشباب، أما الفتيات اللاتي لم يكملن تعليمهن فقد تم عقد دورات تدريب لهن على ماكينات الخياطة ومحو الأمية، وبعد الدورة تأخذ الفتاة الماكينة لتبدأ عملها.

ونتيجة مشاركة وعمل الجميع، بالإضافة إلى توافر موارد الزكاة، فقد تم القضاء على الثالوث اللعين الجهل والفقر والمرض، ولم يعد في القرية طفل بلا تعليم، أو مريض يفتقد العلاج أو عاطل لا يجد العمل، لدرجة أن موارد الزكاة زادت عن حاجة القرية وبدأت تتجه للصرف على الحالات المستحقة في القرى المجاورة.

كما تمكنت القرية من حصيلة أرباح المشاريع من إنشاء حضانة كبيرة بها٣٥٠ طفلا يدرسون بالمجان، ثم معهد أزهري ابتدائي، ثم معهد أزهري إعدادي للبنين وآخر للبنات، وتلاهما معهد أزهري ثانوي للطلاب وآخر ثانوي للطالبات، ومع زيادة الأرباح قام الأهالي بالاتصال بالشيخ جاد الحق شيخ الأزهر الراحل للحصول على موافقته لإنشاء كلية للشريعة تكلفت ٥ مليون جنيه تقريبا وتم إنجازها في ١٢ شهرا ونصف، وبدأت الدراسة بها في عام ١٩٩٢،لتصبح بعد ذلك فرع متكامل لجامعة الأزهر ومدينتين جامعيتين بتفهنا الأشراف .

وامتد الأمر بمشاريع الخير إلى إقامة محطة للسكك الحديدية، ومشروع الصرف الصحي ومستشفى تأمين صحي، وزراعة ألف نخلة

مثمرة، وتم إنشاء مجمع للخدمات بالقرية يتكون من أربعة طوابق يضم سنترالا ومشغلاً لتعليم الفتيات ومكتبة عامة ومقرًا للجنة المصالحات، كما تم إنشاء مصنع للأعلاف والمركزات ومجزر آلي للدواجن، حتى أصبح حجم الاستثمارات حالياً يتجاوز ٣٥ مليون جنيه.

وتبدو لجنة فض المنازعات بالقرية نموذجا في إمكانية إقرار الأمن والسلام الاجتماعي بدون اللجوء إلى الهيئات الحكومية، حيث أصبح معتادًا عند حدوث خلاف بين شخصين أن يتقدما ببلاغ لرئيس اللجنة، ليتم تشكيل مجموعة من الأعضاء المتخصصين والمحايدين لحل المشكلة حسب نوعيتها، والنتيجة أنه لا توجد قضية من القرية في نقطة الشرطة أو المركز، وإذا أفلتت قضية فإن المأمور ينصحهم باللجوء للجنة المصالحات.

كما تم تشكيل لجان نوعية بالقرية لخدمة الأهالي في المناحي المختلفة فمثلا تكونت لجنة الزراعة برئاسة أقدم مهندس زراعي بالقرية حيث تقوم بتقديم الإرشادات الزراعية للفلاحين ودراسة سبل زيادة الإنتاج الزراعي، وتكونت لجنة التعليم برئاسة أقدم ناظر مدرسة بهدف محو الأمية وانشاء فصول التقوية لمحاربة الدروس الخصوصية، كما توفرلجنة الصحة برئاسة أقدم طبيب خدمات الرعاية الوقائية والقوافل الطبية للقرى المجاورة، بالاضافة الى لجنة الشباب التي كونت فرقاً رياضية من خلال مركز الشباب، وفرقاً للخدمة العامة لمواجهة مشكلة وقت الفراغ، وتصريف طاقات الشباب في الأنشطة الرياضية والاجتماعية.



من المعتاد لأهل القرية في أول جمعة من رمضان كل عام أن يقيموا إفطارًا جماعيًا يحضره كل أبناء القرية المقيمين وغير المقيمين، ويجهز كل منزل ما استطاع من طعام لا يجلس أصحابها عليها، كما أنه عقب صلاتي عيد الفطر وعيد الأضحى يقيمون احتفالا تتعدد فيه المسابقات الشعبية التي يشارك فيها الكبار مستخدمين حيوانات الحقل بقصد إدخال البهجة على الجميع لكي ينسى الرجل أرملته المتوفاة وينسى الأب ابنه الغائب في العراق إلى غير ذلك من مثيرات الأحزان، ويقومون بتجهيز الفتيات الفقيرات للزواج من الإبرة الى "البوتوجاز" وحتى أدق لوازم البيت وأغلبها مصنوع في تفهنا الأشراف، وبصفة خاصة في حالات زواج اليتيمات خارج القرية يتحرك أتوبيسان من القرية إلى مكان العرس لينزل العمدة أولاً ومن خلفه كبار رجال القرية مرتدين أفخم ما لديهم كي يشعر أهل الزوج أن العروس لها عزوة، والموكب نفسه يتحرك للقرى المجاورة لأداء واجب العزاء مشيرا إلى أن القرية كلها أسرة واحدة في الأفراح والأحزان.

اللجان النوعية بالقرية كنموذج للعمل المؤسسي

ضمت لجنة الزراعة ثلاثة من الفلاحين أعضاء لجنة القيادة وجميع المهندسين الزراعيين بالقرية وبقيادة أقدم مهندس زراعي، وقد روعي في تشكيل باقي اللجان استخدام هذا الأسلوب، وحددت أهدافها في المساعدة في حل مشاكل جميع الفلاحين في الجمعيات الزراعية وتسهيل كافة الإجراءات اللازمة للزراعة والإرشاد الزراعي والتعاون معهم في هذا الاتجاه، بالاضافة إلى القيام بتشجير مداخل البلدة وزراعة ألف نخلة على الترع الموجودة بالبلدة بحيث تعطي إنتاجها بعد ٦ سنوات على الأكثر وتجمع في وقت واحد ويتم توزيعها على أبناء القرية جميعاً، كما

اهتمت بدراسة وتخطيط كل ما من شأنه دفع العملية الإنتاجية الزراعية إلى الأمام والاستفادة من خبرات الجميع وتوظيفها في هذا الاتجاه.

أما لجنة التعليم فقد اهتمت بدراسة وحل المشكلات التعليمية التي تواجه الطلاب على مختلف مستوياتها الدراسية مثل مشكلة الدروس الخصوصية وإبدالها بفصول تقوية لجميع الطلاب الذين يحتاجونها، بالاضافة الى الاهتمام بقضية " محو الأمية " والعمل على حل هذه المشكلة.

وتشكلت اللجنة الصحية بهدف توفير العناية الطبية الوقائية لأطفال القرية وضمان تحصينهم ضد الأمراض، كما قامت بإنشاء عيادة لعلاج النساء وأخرى للرجال مجانا، بالاضافة الى تكوين قوافل طبية لزيارة القرى الأخرى لتقديم الخدمات العلاجية مجانا.

وتبدو لجنة الشباب نموذجا يحتذى حيث قامت بتكوين الفرق الرياضية الجادة في كافة الأنشطة من خلال إنشاء مركز الشباب، كما قامت بتكوين فرق الخدمة العامة التي تقوم بأعمال مختلفة كتنظيف شوارع القرية وإنارتها، وقدمت الجهود الذاتية من عمل يدوي وخبرات فنية لكافة المشروعات التي توجد في القرية تطوعا، بالاضافة الى القضاء على ظاهرة " وقت الفراغ " وكذا أماكن اللهو في القرية مثل المقاهي ومراكز الفيديو وغيرها.

أما لجنة الزكاة فقد كانت مهمتها إنشاء بيت مال المسلمين وإدارته والإشراف على جمع وتوزيع الزكاة في مصارفها الشرعية.

وأخيرا فقد تولت لجنة الخدمات مسؤولية الخدمات الاجتماعية في القرية فقدمت الرعاية لأيتام المسلمين وكفالتهم، كما قامت بتقديم الملابس والوجبات الغذائية لأطفال مكاتب تحفيظ القران الكريم والمعاهد العلمية.

خير القرية يفيض على الجميع

بالإضافة إلى ما سبق فان خير القرية بدأ يعم على المحافظات المجاورة بعد اطلاعهم على تجربة تفهنا الأشراف، حيث يقومون بدعوة المهندس صلاح عطية لزيارتهم، ونقل خبرة "تفهنا" كما يقوم دوما هو بالتبرع بجزء من تكلفة أي مشروع خيري بأي مكان حيث يشترك معهم في جمع التبرعات، وهكذا لم تكتف "تفهنا الأشراف" بنجاحها بل أسهمت في تصدير هذا النجاح إلى القرى المجاورة.

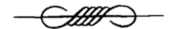
الجميل أن أحلام أبناء القرية لا تنتهي، بل تتجه للتزايد، بعد أن قرر الأهالي الدخول في مشروعين كبيرين كل عام، وآخر هذه المشاريع هو إتمام المعهد الإعدادي والثانوي الأزهري للفائقين، بهدف تكوين نواه للداعية العالمي لتحمل مسئولية نشر الدعوة في أفريقيا وأوروبا.

والمشروع الثاني يهدف إلى إدخال صناعة السجاد القرية، من خلال تعليمها للفتيات، حيث تم الإنفاق مع أحد المصانع المتخصصة في صناعة السجاد اليدوي لتعليم الفتيات صناعة السجاد من البيت لحساب المصنع.

وأخيرا فقد قدمت تفهنا الأشراف نموذجا لقرية فقيرة من قرى مصر استطاعت أن تضرب المثل في الإرادة والبذل والالتفاف حول القيادة المخلصة الواعية،وأن تثبت بالدليل العملي إمكانية فرد واحد لإحداث



التغيير طالما توفرت لديه عوامل الرؤية السليمة والإرادة والصلاح الذي يكسب ثقة الجميع، فحينما أصبح العمل والإنتاج شعارا لأبناء القرية، وأصبح العمل التطوعي عشقهم، صارت القرى تتسابق علي تقليد هذه التجربة الفذة، وهو نموذج قابل للتطبيق في أي بقعة من عالمنا العربي، يثبت انه لا يوجد مستحيل متى صدق العزم وخلصت النوايا.





عثمان والهرم الرابع

عثمان والهرم الرابع

ربما كان للكثيرين العذر في أن ترتبط صورة رجال الأعمال في أذهانهم بمعاني الفساد والجشع والاحتكار وغياب القيم من أجل جمع المال، فكثير من النماذج الأبرز على الساحة حاليا ينطبق عليها هذا الوصف فعليا.

كثيرا ما تمر ذكرى رحيله في الأول من مايو بهدوء شديد لا يتناسب مع حياته الصاخبة وانجازاته الهائلة التي جعلته نموذجا نحن أحوج ما نكون لاحياؤه، ومدرسة في التحدي والوطنية تستحق أن يتعلم منها الجيل الجديد كيف يمكن لفرد أن يصنع الفارق ويحدث التغيير، انه عثمان أحمد عثمان مؤسس شركة المقاولون العرب التي تنتشر مشاريعها في أغلب الدول الإفريقية والأسيوية والأوروبية لتشمل بذلك ٢٧ دولة تمتد من بولندا إلى بتسوانا ويصل حجم أعمالها إلى قرابة ٧ مليار ونصف جنيه سنويا وتصنف ضمن أكبر ٢٠ شركة عالمية في مجالها، بالإضافة إلى مجموعة شركات عثمان والتي تضم ٢٤ شركة في مختلف المجالات الإنشائية والصناعية والزراعية والعقارية.

بداية مختلفة

لم يأت نجاح عثمان أحمد عثمان بضربة حظ أو بمساعدة ومحسوبية، فالرجل الذي توفى والده ولم يكن عمره قد تعدى الثالثة اختار أن يشق طريق العمل، فعمل كصبي ميكانيكي في عمر الثامنة ليسهم في نفقات أسرته بالإسماعيلية، وفضل دراسة الهندسة علي دراسة الطب كما هو معتاد لمن حصل علي "البكالوريا" بتفوق إيمانا منه بمعرفة موهبته وميوله الشخصي بعد موافقة الوالدة عن الاستغناء عن حلمها أن تري ابنها طبيبا وخاصة أن الأخ الأكبر منه مباشرة انخرط في كلية الهندسة،وعندما تقدم للالتحاق بالكلية عام ١٩٣٥ لم يكن يملك قيمة مصروفات الجامعة مما اضطره أن يتحمل المرارة ليتقدم بشهادة فقر لإعفائه من المصروفات، حيث كان يقطع الطريق سائرا علي قدميه من باب الخلق من منزل أخته الكبرى إلى جامعة القاهرة بالجيزة، حتى اهتدى إلى صناعة دراجة بمجهود ذاتي تكلفت ستين قرشا موفرا من المائة وعشرين قرشا التي أهدتها إليه شقيقته لعمل اشتراك بالترام ليرحم قدميه من السير يوميا والعودة، لكن بعقليته و موهبته أيقن أن تركيب دراجة من مخلفات محل لبيع وتأجير الدراجات والتي تكلفه ستين قرشا، أفضل من شراء دراجة جديدة ثمنها جنيهين وأفضل بالتأكيد من اشتراك بالترام بمائة وعشرين قرشا ويجدد بنفس المبلغ كل ثلاثة أشهر، وفي نهاية دراسة البكالوريوس اهدي المهندس عثمان أحمد عثمان من فرحته بالنجاح دراجته العزيزة إلى "عم حسنين" حارس الكلية كحلاوة النجاح.

ولكنه كان قد اتخذ قراره مسبقا فلم يبحث عن الوظيفة الحكومية التي توفر له الراحة والراتب الثابت، إنما اتجه بتفكيره إلى

مزاولة مهنة المقاولات التي أحبها دائما وشغلت تفكيره من بداية التحاقه بكلية الهندسة بل انه عرفها منذ طفولته حيث يعمل خاله مقاولا في مواقع الشركات الأجنبية العملاقة في منطقة القناة، وكان لابد من الخبرة العملية واستطاع الحصول علي هذه الخبرة من العمل لدي خاله المقاول الكبير و يشير المرحوم عثمان احمد عثمان إلى انه لم يكن يعرف قيمة راتبه أو كم مرة تضاعف راتبه في خلال الفترة التي عمل بها حيث كان كل تفكيره منصبا علي الاستفادة العملية والتفكير في الأفاق الرحبة في عمل المقاولات الواسع.

وكان رحمه الله نموذجا للتفاني في العمل والجد والمثابرة لتحقيق الهدف فكان يحرص أن يكون أول من يصل إلي موقع العمل مع شروق الشمس قبل أن يذهب اصغر عامل و يغادره بعد الغروب حتى أطلق عليه العمال اسم " المعلم" وهو اللقب الذي بقي معه طوال حياته، ثم يمضي ليله في إعداد التقارير والدراسات عن حجم العمل وسيره وإمكانيات تطويره، واستمر على دأبه هذا بعد تخليه عن العمل الحكومي المضمون وتأسيسه لشركة (عثمان احمد عثمان ـ مهندس ومقاول) وكان مقرها شقة من غرفة واحدة بالإسماعيلية، وكان هو المهندس والمحاسب والفراش والساعي لشركته الوليدة.

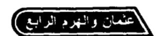
وأسس مكتبه من مخلفات الأخشاب بمعاونة أحد النجارين لتقليل التكاليف، كما كان يقوم بدور دعائي لنفسه في الميادين و المقاهي و كان غريبا لدي الجمهور وضع مهندس تخلى عن الوظيفة و اتجه الي قطاع المقاولات لدرجه أنهم نصحوه كثيرا بان يتخلى عن مهنة المقاولات الغدارة و يحفظ مستقبله بالوظيفة، فكانت تسند له أعمال صغيره مثل

رسم دكان و ترميم شقة وإصلاحات بسيطة و لم يكن يرفض أبدا العمل مهما صغر حجمه او أتعابه، وكانت بداية دخوله مجال التشييد عندما كلف من دكتور يوناني بإنشاء "جراج" حيث استعار أدوات التشييد والأخشاب المطلوبة ليتم تنفيذ العملية ويكسب منها ١٥ جنيها اشترى بها أدوات خاصة بشركته.

وخلال فترة العمل كان غذاؤه رغيف ساخن مع "طعمية" فقط يتناولهما وهو في طريقه إلى العمل، وكان من عادته أن يكون أول من يحضر الي موقع العمل لتنظيمه وحل المعوقات وشراء مستلزمات العمل وتقسيم العمل،.وكان هذا العمل وقتها غريبا عن عمل المهندس الذي كان يجلس عادة في الظل أو في مكتب موقعي و يطلقون عليه "الباش مهندس"، لكن "عثمان" كان يعمل كثيرا بيده في حالة غياب احد العمال أو زيادة حجم العمل.

انطلاقة جديدة

وكانت البداية الحقيقية للمعلم نحو أعمال جديدة عالية المستوي من خلال أول عطاء لبناء مدرسة البنات الابتدائية بالإسماعيلية عن طريق وزارة المعارف و كانت بمبلغ ثلاثة وخمسين جنيها، و كان ذلك يعتبر قفزة لشركة عثمان وقتها وبالرغم من صعوبة المشروع الأول لعدم شهرة شركة المعلم وقتها - حيث كانت الشهرة هي المفتاح للموافقات والتسليم والتسلم وجميع الإجراءات الهندسية - إلا أن إصرار و نجاح الشركة في تنفيذ المدرسة مع الأمانة و الشرف في التنفيذ كان دافعا لإنهاء المشروع الأول بنجاح كبير وسط إشادة من جميع المسئولين، حيث



اعتمد "عثمان" على مبدأ أساسي استمر معه طوال حياته وهو "أن عملك هو من يدافع عنك".

ولكن تشاء الأقدار أن يقع "عثمان" في أول محك واختبار حقيقي في العام ١٩٥١ وذلك بعد انتهائه مباشرة من تشييد المدرسة حيث تحركت فصائل الفدائيين في مدن القنال ضد قوات الاحتلال البريطاني مما دفع الانجليز إلى التفكير في احتلال مدينة الإسماعيلية حيث قصدوا مبنى المدرسة وأحاطوها بقواتهم، ليقوموا باحتلال سطحها الذي أصبح مركزا لإطلاق النيران علي أهل البلد، وعندها خطر ببال عثمان أن يطلب من الضابط الانجليزي مهلة ساعتين لنقل معداته من الموقع أملا في إعطاء مهلة للمقاومين بالحركة والراحة قليلا من الاعتداءات المتواصلة، وكان غرضه الرئيس هو خلع أبواب المدرسة الداخلية والخارجية لتكون مكشوفة وغير أمنة للمعسكر الانجليزي، ووافق الضابط البريطاني ليتصل "المعلم" سريعا بشقيقه محمد ويطلب منه إحضار كل العمال حتى يتم خلع كل أبواب المدرسة ونقلها إلي المخازن وسط عدم فهم من جانب الانجليز لما يجري، ونتج عن ذلك أن تراجع الانجليز عن إصرارهم على البقاء بالمدرسة لأن معسكرهم أصبح مكشوفا ليقوموا بالانسحاب بعدها بفترة قصيرة، وتعود إدارة التعليم وتسند إلى عثمان مهمة إصلاح وتركيب الأبواب ثانية ضمن عملية جديدة أسندت إليه، ولكنه رفض أن يتقاضي ثمن الأبواب حيث أنها لا تزال في مخازنه وكان تعليق المعلم - رحمة الله عليه - لماذا اخفي الأبواب وأتقاضى عليها أجرا و قد رآني من لا يخفي عليه شيء، لتسعد الإسماعيلية كلها بتلك القصة وينال عثمان السمعة الطيبة.

استقامة والتزام ديني

يعتبر "عثمان" أن بدايات تكوين فكره تم من خلال والدته حيث يراها تستيقظ وتتوضأ لصلاة الفجر وتجلس بعدها لتقرأ بعض من آيات الذكر الحكيم، فكانت الحيوية دائما تدب في أركان المنزل قبل شروق الشمس حيث يستيقظ عثمان وإخوته للصلاة، وكان والده يمتلك مكتبة دينية بسيطة بدأ يقرأ من كتبها ما تصل إليها يداه، و كانت والدته تحرص علي أن يقرأ لها بصوت مرتفع من تلك الكتب القيمة، كما أن زوج شقيقة عثمان الكبرى كان أستاذا بجامعة الأزهر وهو الشيخ "علي حسب الله".

وعند مغادرة عثمان للإقامة عند شقيقته كان الجو المحيط به جوا دينيا ملتزما، حيث تعود على أداء صلاة الفجر ثم قراءة القران ليذهب بعدها الي أعماله، وكان ذلك وردا ثابتا له تعود عليه منذ الصغر، و كان يري أن ذلك البرنامج له فائدة علي أعماله حيث كان يزيد حوالي ٢٠٪ من نشاطه و مجهوده وبالتالي من أعماله، وكان يري أن ذلك من فوائد الإيمان والالتزام ولابد أن ينعكس علي العمل دون تعطيل أو تأخير، و من خلال حواراته مع والدته تعلم الكثير و الكثير من إلقاء حمله علي الله سبحانه تعالي والصبر والصلابة والقوة والتحمل وأن يراعي الله في كل تصرف ويخافه في كل عمل، كما حرصت والدته على تعليمه الحفظ والقراءة الصحيحة للقران الكريم حيث ألحقته بأحد الكتاتيب بالإسماعيلية، وكان شقيق والدة المعلم هو الشيخ الجليل "محمود حسين" وكان ذو أخلاق دينية عالية ومحل ثقة لكل أهل المدينة، بالإضافة إلى كونه مرجعا للمعلم في كثير من المعاملات العملية في بداية حياته في دنيا المقاولات.

وقد عاصر عثمان في الإسماعيلية الأستاذ "حسن البنا" مؤسس جماعة الإخوان المسلمين وكان شابا في العشرينات، وتعلق المعلم به لما وجد فيه سعة الصدر والعطف ويحب الجميع بلا استثناء وكان يزيد من العلم للطلاب بعد ساعات العمل بالمدرسة، بل وكان يحضر قبلها ليعلم الطلاب الوضوء وصلاة الصبح في طابور الى المسجد ثم يعود للمدرسة، وكان ينام عثمان مساءا وكله شوق الي اللقاء مع حسن البنا في الصباح حيث ارتبط روحيا به، وانطبع في أذهان الطلاب أخلاقياته الطيبة الودودة حيث كان بمثابة الأب الروحي للجميع، وكان صديقا لخال المعلم الشيخ "محمود حسين" و ضيفا يومي في مجلسه ليتفقها في أمور العلم الديني الذي يمتلئ كل يوم بعد صلاة العشاء و كان غير مسموح لمن هم في سن عثمان إلا بالوقوف خارجا لسماع الحديث الجميل، وذلك لامتلاء المجلس عن آخره.

وكان ارتباط المعلم الروحي بالإخوان المسلمين سببا في أن ترك باب الشركة مفتوحا علي مصراعيه لكل من يريد أن يعمل بها من الاخوان، فكان لهم دور كبير في تطوير الشركة وبنائها واتساع أنشطتها، ولكن تحت ضوابط من المعلم أن من يريد العمل بالشركة من الإخوان لا دخل له بالسياسة داخل الشركة بحيث يتم التركيز على العمل فهو الأساس الذي من خلاله نثبت للدنيا أننا قوم بناء لا هدم أو عنف، وفعلا كان هذا الميثاق من المعلم غليظا مع كل من عمل بالشركة من الإخوان، وكم انزعجت الحكومة كثيرا من أن "المقاولون العرب" كانت تضم أعدادا كبيرة من الإخوان لدرجة أن قيل عن الشركة: هل هذه شركة مقاولات أم وكر للإخوان، ويوضح عثمان بأنه كان له علاقات صداقة و عمل مع شخصيات إخوانية رائعة

مثل "عبد العظيم لقمة" و"حلمي عبد المجيد"، كما يحكي عن وفائه مع الشخصيات الاخوانية التي عملت معه بالشركة بالرغم من منافستهم له بانتخابات مجلس الشعب، ولكنه كان يعتبر ذلك أمرًا مختلفا عن التأييد أو الحب لهم، ووقتها فاز هو بالأغلبية من الأصوات بالانتخابات أمام مرشح الإخوان.

ملحمة السد العالي

ولعل من أهم ما يميز تجربة المعلم والتي لخصها في كتاب "صفحات من تجربتي" هو روح الإصرار والتحدي لبلوغ الأهداف مهما كانت الصعوبات فاستطاعت شركته تحقيق ما ظنه البعض مستحيلا من بناء السد العالي والذي لم يكن بالنسبة له مجرد مشروع عمراني، ولكن إصراره علي النجاح نحو تحقيق حلمه ساعده على تحدي كل الظروف المحيطة ليبدأ في إقناع مجلس إدارة الشركة كي يكونوا له عونا في مشواره لإقناع الآخرين والتغلب على شرط تواجد اتحاد مقاولين قوي للدخول في العملية، حيث فوجئ بالرفض الجماعي من المقاولين الآخرين وكان سبب الرفض هو الخوف من التقلبات السياسية وعدم الشعور بالأمان تجاه المشروع، من هنا بدأ المعلم في طمأنة الجميع من مبدأ أن المشروع يحتاج عشرة سنوات على الأقل فمن يضمن وقتها استمرار الحكومة، وكان ذلك سببا في اقتناع كبار المقاولين بالدخول في الاتحاد ولكن كان لابد من البحث عن شركات أجنبية ليختار الشركات البولندية التي تحظي بموافقة مسبقة من الروس كون بولندا تدور في فلك الكتلة الشيوعية، وتم قبول عطاء المعلم من حيث المبدأ، لتبدأ المعركة الكبرى من تواجد كل مقاولي مصر في طرف ضد شركة عثمان احمد عثمان في الطرف الآخر رغبة في فرض السعر، وتم



فتح المظاريف ليفاجأ الجميع بأن عطاء شركة عثمان ب١٥ مليون جنيه وعطاء اتحاد المقاولين المصريين ب٢٧ مليون جنيه، وكان الفارق الشاسع يعني أن عثمان أحمد عثمان لا يعرف شيئا عما يقدمه من أسعار أو أن المنافسين يريدون سرقة الدولة، لتنطلق ضحكات السخرية بجلسة فتح المظاريف والتي تبعها تأكيده ومن أرض صلبة أن المشروع لا يتكلف أكثر من ستة عشر مليون فقط، وفجر كلمته الشهيرة في القاعة كقنبلة اهتز لها الجميع من أنه على استعداد أن يخفض عطاءه نصف مليون أخرى، ليتم بعدها قبول عطاء عثمان ويسند إليه المشروع في بداية عام ١٩٦١ شريطة أن تشترك إحدى شركات القطاع العام معه وهي شركة "مصر للاسمنت المسلح"، وهو ما رفضه عثمان حتى لا يفرض عليه أحد في تنفيذ السد العالي، وعندها اتخذ القرار الأصعب ليكتب أمام الجميع كلمات سطرها التاريخ: "أنا عثمان أحمد عثمان رئيس مجلس إدارة الشركة الهندسية للصناعات والمقاولات العمومية وامتلك ٧٥ ٪ من أسهمها أتنازل للحكومة عن ٣٠٪ من أسهم الشركة"، لكن الحكومة قررت رفض تنازله وطلبت منه قبول الشراكة وتدخل الرئيس شخصيا وهو ما اضطره إلى القبول تفاديا للعاصفة ويعترف في مذكراته أنها المرة الوحيدة والأخيرة التي يقبل فيها أي أمر مضطرا أو مكرها، وبمرور الوقت اتضح للجميع أن شركة مصر للاسمنت المسلح ليست إلا شريك على الورق فقط دون أي دور يذكر ولا يوجد عماله أو فنيين بالموقع ليكون ذلك السبب الرئيس لخروجها من المشروع تماما.

ويبدأ عثمان التنفيذ بخيمة في الموقع تتسع ستة مهندسين ومعها "زير" مياه للشرب، لتزيد تدريجيا حجم الأعمال ويزيد عدد الخيام وتنتشر بالموقع روح العمل والإتقان، ويصل عدد العمال بالموقع إلى أكثر



من ٣٥ ألف عامل يعملون ٢٤ ساعة يوميا بكل همة وإخلاص، وانشأ عثمان للعمال والمهندسين المساكن الحديثة والنادي الاجتماعي وحل مشكلة مياه الشرب ثم أضاف مساكن عائلية للمتزوجين منفصلة عن مساكن العزاب ودار للسينما ووسائل مواصلات مريحة وأوجد مجتمعا جديدا وهو ما زاد من تفرغ العمال للعمل بدلا من تفرغهم لحل المشاكل والحديث عنها فقد كان فلسفته تتمثل في أن يعطي العمال بلا حدود ليعطوه بلا حدود.

ونجح المعلم في التغلب على الصعاب التي واجهته كما نجح في إقناع المسئولين بضرورة تنوع استيراد المعدات بدلا من الاعتماد على المعدات الروسية العتيقة وبدأ بعمل التخطيط اللازم نحو استيراد المعدات للحفر من السويد وأحضر كل معداته من الدول العربية كفترة انتقالية، وارتفع حجم العمل من ألفي متر مكعب إلى ستة آلاف ثم إلى اثنتي عشر ألف متر مكعب يوميا، ثم واصل الارتفاع إلى خمسة وعشرين ألف متر مكعب يوميا، وتنتهي المرحلة الأولى قبل موعدها بأربعة عشر شهرا، وكان السد العالي من العمليات الضخمة الذي استغرق العمل فيها ١٢ عاما كاملة صرف المعلم النظر فيها عن أية مشروعات أخرى، وقام بتصفية كل مشاريعه بالدول العربية من أجل جمع أفضل المهندسين والفنيين والملاحظين لبناء الملحمة الوطنية على أفضل ما يكون.

مرحلة جديدة مع التأميم

يرى "عثمان" أن التأميم غلطة كبرى وقعت مصر كلها ضحية لها ودفع الشعب المصري وحده ثمنها، حيث يرى أن عملية تأميم المنشآت



الخاصة تحت شعارات وكلمات رنانة دمر فيها كل جهد من أبناء مصر وجعل الجميع يخافون من العمل الخاص، فاحتفظوا برؤوس أموالهم خوفا من التأميم والحراسة والمصادرة، وكانت النتيجة خراب في خراب - حسب تعبير عثمان نفسه - وتولت الحكومة إدارة كل شيء وأجبرت المواطنين علي أن يديروا ظهورهم الي وطنهم بإحجام أصحاب الأموال في مشاركة التنمية والعمران، وتعلم الناس أن يلقوا بكل حمولتهم علي الدولة فناء كاهلها وكاهل الناس وتضخمت مسئوليات الحكومة فتضاعفت مشاكل الناس.

لقد تصور "عثمان" أن الحكومة قادرة على تأميم كل شيء إلا قطاع المقاولات لأنها تحتاج إلى الخبرة والممارسة قبل أي شيء ولأن المقاول هو شخص خرجت "أحشاؤه" إلى خارج جسده والعبرة في علم المقاولات هي الحرص والسرعة والممارسة والبراعة في استخدام المعدات والدفاتر والحسابات وبالتالي فلم يكن يتصور أن يقدم على تأميم شركات المقاولات.

كان عثمان في الكويت في العام ١٩٦١ عندما علم بخطاب التأميم ضمن احتفالات الدولة بثورة يوليو، واستبعد أن تكون "المقاولون العرب" من ضمن الشركات المؤممة حيث كان يقوم وقتها بتنفيذ أضخم مشروع في العالم، في ظل إحجام الغرب عن تمويل المشروع الذي اعتبرته الحكومة معركة حياة أو موت، كما أن الخطاب السياسي عن التأميم كان يتحدث عن تأميم الإقطاعيين والرأسماليين المستغلين أو محتكر أو ذنب للاستعمار، وكانت المفاجأة أن تقرر تأميم شركة "المقاولون العرب"، ويسميها عثمان "مفاجأة" وليست "صدمة" حيث اعتبر

أنه في حياته كلها لم يتلق إلا صدمتان فقط ـ صدمة وفاة والدته ووفاة شقيقه إبراهيم رحمة الله عليهما ـ، وذلك لسبب بسيط وهو إن كان النظام قد قام بتأميم الشركة فهو غير قادر على تأميم عقله وخبرته وهما أكبر من أية رأس مال لديه، ولكن ما يؤرقه ليست أمواله ومجهوده التي أممته الدولة وإنما أبناءه العاملين بالشركة.

اتصل شركاء "عثمان" به بالكويت مطالبين بعودته لكنه أصر أن يستمر برنامج زيارته بالكويت كما هو، وسلم أمره الي الله سبحانه وتعالي، وسأل نفسه سؤال هام: ماذا كنت تمتلك يا عثمان قبل أن يعطيك ربك؟ هذا السؤال زاد من الطمأنينة والهدوء في نفسه، الأمر الذي جعله يستكمل زيارته في الكويت ثم الدمام والظهران بالسعودية ثم الي البحرين.

وكان السؤال الهام: ماذا بعد التأميم، حيث وصل الي مصر مبتسما في وجوه مستقبليه الذين أزعجهم خبر التأميم لتصبح حالتهم النفسية في منتهي السوء، ولذلك فقد كان لابد أن يقوم هو برفع الروح المعنوية قبل المعركة التالية، ليتحدث الى الجمع الذي جاوز أربعين فردا قائلا: "إنها إرادة الله قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، وكما فرحنا عندما أعطانا لابد أن نصبر عندما أراد أن يمتحن إيماننا"، وذكر مستقبليه بمحاولته التنازل عن ٥٠ % من الشركة للحكومة وأن ما حدث لا تتعدي إلا رفع النسبة من طرف الحكومة الي ١٠٠% ،وعندما وصل إلى مقر شركته وجد العمل قد بدأ يهتز ويتسرب اليأس إلى النفوس، فكانت أول المعارك هي إعادة التوازن للشركة.

وبالرغم من سهولة اتخاذ القرار الآخر بالعودة الي الخليج حيث الأبواب لا تزال مفتوحة أمامه ليكون عشرات ملايين اخري بمنتهي السهولة ويترك شركته وأمواله وأبناءه للتشتت والضياع، الا أنه فضل البقاء في مصر بالرغم من دعوة خاصة من الأمير "خالد بن عبد العزيز" الذي صار بعدها ملكا علي السعودية عارضا علي المعلم الأموال والمشروعات ومعها الجنسية السعودية، وان لم يرد البقاء في السعودية فعليه أن يختار أي مكان في العالم ليقيم فيه علي نفقة الأمير خالد.

تأثر المعلم كثيرا بالعرض الملكي الرائع وولكنه قدم اعتذاره شاكرا موقف الأمير النبيل، وسافر الرسول الخاص منبهرا بموقف المعلم من رفض كل تلك العروض الخيالية، ليقرر السفر إلى الإسماعيلية حيث هزه بعنف الاستقبال الذي استقبل به هناك، ذهب إلى الإسماعيلية ليغسل همومه في أحضانها كما تعود دائما حيث التف حوله أبناء الإسماعيلية وخففوا عنه وضمدوا جراحه فهم أهله وعشيرته وأسرته الكبيرة الذي خرج منها واذا كان قد تمنى أن تكون والدته موجودة، فقد وجد كل الإسماعيلية عوضا عنها، حيث تقدم له الجميع بتبرعات عونا له في الأزمة منهم من قدم خمسة آلاف جنية ومنهم من قدم ألف جنية ومنهم من قدم خمسة جنيهات، ودمعت عينه تأثرا ممن قدم الخمسة جنيهات لأنه قدم معها الحب والوفاء والرغبة في الوقوف معه ومساندته، ولكنه شكرهم كثيرا ولم يقبل منهم أية مبالغ واكتفى بقلوبهم الحانية.

عاد "عثمان" للعمل بالشركة وكان هو المتضرر الوحيد لأنه كان يعمل بلا راتب حيث جاءت تعليمات التأميم بأن يظل كل شيء كما هو

عليه دون تحديد راتب له، وعندما تم تدارك الأمر أصبح الراتب السنوي له لا يزيد عن أربعة آلاف جنية كراتب أقل مسئول بالشركة، وفي مقابل ذلك كانت النتيجة النهائية أن تصور الشعب أن شركة المقاولون العرب بالأداء والانجازات الكبيرة لم يتم تأميمها لدرجة أن وزراء الدولة كانوا يعتقدون أن تأميم شركة "المقاولون العرب" قد تم على الورق فقط.

ملحمة جديدة مع الجيش المصري

أسندت الدولة الي شركة "المقاولون العرب" مهمة بناء قواعد الصواريخ لقطع اليد الطولي للسلاح الإسرائيلي وحظائر الطائرات حتي لا تكون الطائرات المصرية في متناول يد الطيران الإسرائيلي كما حدث في ٥٦ و ٦٧ عندما تم تدمير سلاح الطيران المصري على الأرض، واستطاع أن ينجح مع شركة المقاولين العرب في تنفيذ تلك المهمة الوطنية الكبيرة في أوقات قياسية وقوة فنية خارقة وصلت إلى أعلى مستويات التنفيذ والإتقان الأمر الذي جعل الشركة تتخصص في هذا النوع من الإنشاءات ليس في مصر وحدها ولكن في المنطقة العربية ككل، وكانت العملية محفوفة بالمخاطر واستشهد الكثيرين من أبناء المقاولين العرب صعد إلى خالقهم منهم في يوم واحد ٥٠٠ شهيد فكان بناء قواعد الصواريخ ودشم الطائرات كان ملحمة نضال وطنية رائعة.

ويشهد التاريخ بأن "معديات" العبور التي هزمت خط برليف كانت فكرة مصرية ومن إنتاج سواعد أبناء شركة عثمان، ويرجع أصل الحكاية عندما اتصل قائد سلاح المهندسين بالقوات المسلحة بعثمان و طلب منه أن تقوم ورش الشركة في شبرا بتصنيع معدية بحرية حمولتها

دبابة أو دبابتين وتحتوي على طلمبة تضخ الماء بقوة دفع شديدة لتقوم بفتح ثغرات في الساتر الترابي الذي أقامه الإسرائيليون علي الضفة الشرقية للقناة بطول وعرض وارتفاع وعمق اجمع خبراء العالم علي أن أزالته أو فتح ثغرة فيه لا يمكن أن تتم إلا عن طريق قنبلة ذرية، واهتدى العقل المصري الي ما فات علي عسول الخبراء بما فيهم الروس وعثر علي طريقة بسيطة جدا يمكن استخدامها بديلا عن التفجير الذري، وتتلخص تلك الطريقة في معدات تحمل طلمبات وتعبر القناة الي الضفة الشرقية وتسحب المياه من القناة وتضخها بقوة دفع كبيرة في اتجاه الساتر الترابي لكي تحدث فيه ثغرة لتنطلق في مواجهتها الجسور التي ستتدفق منها مصفحات وآليات القوات المسلحة المصرية عندما نبدأ معركة تحرير الأرض

وبدأ عثمان فورا في تنفيذ ما طلبته منه القوات المسلحة وتم تنفيذ المطلوب بإشراف مهندسين من القوات المسلحة وتم تجربة المعديات في ترعة بجوار القناطر الخيرية بالقرب من ورش شبرا، مع تنفيذ ساتر ترابي هائل فوق احدي ضفتي الترعة بنفس مواصفات الساتر الذي أقامه اليهود علي الضفة الشرقية لقناة السويس.

واستمر سلاح المهندسين في إجراء التجارب وعمل التعديلات اللازمة واستمرت التجارب والتعديلات سنة تقريبا تم خلالها تصنيع عشرة وحدات بالمواصفات والكفاءة المطلوبة، وذات يوم جاء قائد سلاح المهندسين لزيارة المعلم وطلب تصنيع سبعة معديات أخرى في خلال خمسة وعشرين يوما فقط، واستغرب عثمان كثيرا حيث أن تصنيع عشرة وحدات استغرق سنة كاملة بينما مطلوب منه سبع معديات في خمسة

وعشرين يوما فقط وحاول إيضاح أن ذلك مستحيل انجازه في تلك الفترة القصيرة، وأصر قائد السلاح إصرارا شديدا لدرجة الرجاء بضرورة تنفيذ ذلك. وفهم المعلم أن الأمر خطير وجاد جدا ولكن لم يكن يتصور أن مصر يمكن أن تحارب في ذلك التوقيت، ولم يكن له إلا الموافقة واصدر الأوامر فورا بإيقاف العمل بالورش في أية أعمال اخري والبدء فورا في تنفيذ السبعة معديات بالوقت المحدد مهما كلف ذلك من جهد وتعب ومواصلة الليل بالنهار ورجال المقاولين العرب إذا وعدوا أوفوا بوعودهم وعلي رأسهم المعلم رحمة الله عليه.

المعلم في الوزارة

بعد نهاية حرب أكتوبر مباشرة طلب الرئيس السادات من عثمان تولي وزارة التعمير كوزارة جديدة لإعادة بناء وتعمير مصر،وبينما كانت الأيادي تصافح المعلم كان عقله مشغول تماما في أمور اخري فهو يعلم تماما أن المهمة ليست سهلة و المسألة لا تقف عند تعيين وزير بل المطلوب منه إنشاء وزارة جديدة، وحتى الوزارة أمرها سهل لو كانت في غير الظروف المحيطة به حيث يتطلب الموضوع إعادة تعمير منطقة القناة بحس وطني قبل أن يكون حس وزير وكان المعلم يدرك تماما أن القرار هنا ليس قرارا تنفيذيا فقط وإنما هو قرار ذو أبعاد سياسية وتتعدي أهدافه مجرد تعيينه وزير للتعمير، اعتبر المعلم قرار تعيينه وزيرا معناه فتح صفحة جديدة تحت عنوان ما بعد حرب أكتوبر ليست لمصر فقط وإنما للعالم العربي والعالم ككل، لذاك أحس المعلم أن عليه واجب فهم اللحظة التاريخية التي يعيشها والموقف الذي وضع فيه و لم يضع المعلم وقتا طويلا و بدأ في الخطوات التنفيذية من منطلق انه مقاول لم يسبق له العمل الحكومي من قبل ووجد نفسه يقف وجها لوجه أمام

مسئولية وزارة لم يسع في حياته إليها ، كما وجد نفسه مسئولا عن وزارة جديدة يجب إنشاؤها و مطلوب منه تعيين الهيكل الإداري و التنظيمي من الألف الي الياء لوزارة ستري النور معه لأول مرة، ولكنه كان يحس بارتياح كبير لأنه سينشئ وزارة بالمواصفات التي يستطيع بها أن يحقق ما هو مطلوب منها.

ولإنشاء جهاز جديد كان لابد من إيجاد مقر للوزارة فقرر المعلم أن يبدأ مهامه من مكتبه بشركة المقاولين العرب و قرر أن يعمل بأسلوب تعامله بالشركة من الوضوح و الصراحة و الصدق و الإيمان و الإخلاص واعتبر أن الخط المستقيم هو اقصر الطرق،سواء كانت تلك الأسس تفق مع السياسة أولا تفق .

كانت هناك عدة خطوط متوازية لابد من السير فيها للوزير عثمان، أول الخطوط هو إعادة تعمير منطقة قناة السويس حيث كان كل العالم ينظر إليها وأصبحت في بؤرة الضوء وحتى يبدأ التعمير لابد من القفز فوق الروتين الذي يعشش في المصالح الحكومية و يعتبر حاجزا لعملية التطوير المطلوبة وهنا برزت أهمية تجربة السد العالي بكل تفاصيلها حيث كان له قانون خاص و هيئة خاصة و وزير لكل كل صلاحيات رئيس الجمهورية في موقع عمله .

فكان لابد من تجربة السد العالي علي بنود التعمير المطلوبة وقد وافق الرئيس السادات و طلب منه إعداد قانون خاص بالتعمير يقدم الي مجلس الشعب ليقره بالسرعة المطلوبة لكي يوفر هذا القانون قوة الدفع التي تدفع بعملية التعمير الي نهاية الخط المرسوم لها، و فعلا اصدر مجلس الشعب القانون الذي أعده المعلم من عصارة تجربته الطويلة في

إنشاء السد العالي ومعه أصحاب الخبرة و الرأي و العلم في كافة المجالات.

وفي وزارة التعمير كان لابد للمعلم من تبادل الخبرة مع علماء مصر فذهب بنفسه الي الدكتور احمد محرم المهندس الاستشاري الكبير ووزير الإسكان الأسبق و مصمم كوبري ٦ أكتوبر الذي نفذ في عهده ،والدكتور حسن مرعي والمهندس إبراهيم نجيب والوزير سليمان عبد الحي وغيرهم من أعلام العلم الذين شهدت اجتماعاتهم صالة الاجتماعات الصغيرة التي كانت تضمها الوزارة، والتي كانت عبارة عن الدور الأول من مبني وزارة التعمير الحالية بجوار وزارة الإسكان، وكان هذا الدور يضم الي جانب صالة الاجتماعات حجرتين فقط حجرة للوزير و حجرة للسكرتارية هذه هي كل وزارة التعمير المنوط بها تنفيذ كل ما هو موكل لها من مهام ضخمة و كبيرة من حيث حجمها و من حيث آثارها، فعقد ندوات مع خيرة علماء مصر و حرص علي إعطاء الفرصة للجميع للنقاش للصغير قبل الكبير وكان علي يقين أن هذه الآراء هي خلاصة ما في مصر من أفكار فكان لابد له من تجميعها و الاستفادة منها وعمل أرشيف وثائقي لكل الأفكار و تبويبه و دراسته لاستخلاص كل ما هو مفيد لصالح العمل و عكف على تنفيذه.

كلماته خالدة

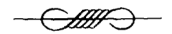
ويلاحظ في شخصية المعلم حبه الشديد للوطن والعمل من اجله بصدق بعيدا عن الشعارات فالرجل وقف أمام الجميع بمن فيهم الرئيس السادات ورفض بيع أي قطعة أرض من مصر للأجانب تحت أي ظرف

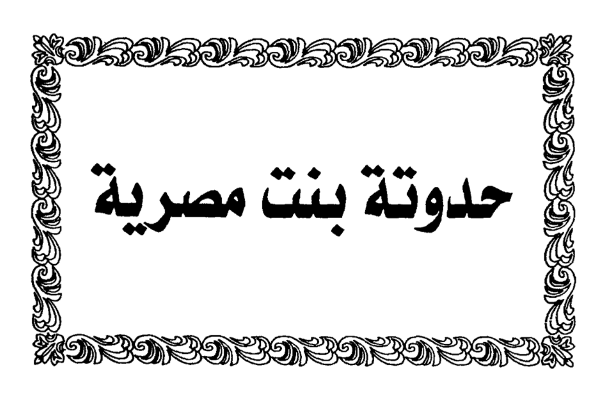


اقتصادي، واعتبرها محنة عابرة لابد أن تجتازها مصر كما اجتازت الكثير من المحن الأخرى و خرجت منها قوية عملاقة، وقال كلمته الشهيرة لرئيس الوزراء في ذلك الحين "إن سياسة الانفتاح لخير مصر و ليس لبيعها"

كما كان لعثمان رؤية متميزة في إدارة موارد الدولة فاعتبر أن الإدارة السليمة هي اقوي أجهزة الرقابة، وطلب من إدارات الشركات تغيير مفهوم القطاع العام من خلال إعادة ترتيب أوضاع الشركات لتكون المحاسبة علي حصيلة العمل و تحقيق الهدف الموضوع أو إعادة النظر في أمر الإدارة بإبعادها فورا ليتولي من هو اقدر.

لقد استطاع المعلم أن يقدم تجربة جديرة بالاحترام يمكنها أن تكون نموذجا لكل من يعمل و يكد ليجني في النهاية ثمار تعبه و اجتهاده، ليس هو وحده وإنما أجيال عديدة استفادت و ما زالت تستفيد من قصة نجاح تستحق الوقوف أمامها، ولتبقى كلمات عثمان خالدة "بأنه ليس هناك على الأرض أقوى من رجل عاش من اجل فكرة".





حدوتة بنت مصرية

حدوتة بنت مصرية

"رحاب الطحان" اسم لفتاة مصرية في أواخر العشرينات من عمرها، قد لا يعرفها أحد على الإطلاق بالرغم من أنها تعيش حياة تختلف عن الكثير من أبناء جيلها وينشغل بالها تماما بقضايا قد لا يقدر عليها أشد الرجال.

يرتبط اسم "رحاب" بشكل أساسي" بعزبة أبو رجيلة"، ولمن لا يعرفها فهي منطقة يعيش بها أكثر من ثلاثين ألف مواطن وتمثل أحد أكثر المناطق عشوائية في محافظة القاهرة، تقع بالقرب من منطقة جسر السويس وتعد نموذجا صارخا للجهل والفقر والمرض، حيث يعيش كثير من الأهالي في عشش أو غرف ذات حمامات مشتركة، ويتخلل العزبة مصرف عمومي مكشوف (رشاح) تطفو عليه الحيوانات النافقة والعديد من الملوثات، بالإضافة لحالة الفقر المدقع للأسر مما جعل "الأنيميا" هي المرض الشائع في المنطقة لترتفع نسبة وفيات الأطفال وتزيد نسبة الأمية والتسرب من التعليم، بالإضافة إلى معاناة كثير من البيوت من تهدم الأسقف أثناء فصل الشتاء.

رحلة معاناة وتحدي

هذه الصورة البائسة رأتها "رحاب" للمرة الأولى عام ٢٠٠٣ وتألمت لها كثيرا وهو ما كان له بالغ الأثر في إشعال جذوة الحماس بداخلها لإحداث التغيير بهذا المكان ومحاولة مساعدة هؤلاء البسطاء، لتتحول تلك الفتاة من مجرد معلمة تعيش حياة هادئة بين المدرسة وفصولها إلى متطوعة تقطع مسافة ليست بالهينة من منزلها في الأطراف الراقية لمحافظة الجيزة إلى "عزبة أبو رجيلة" ثلاث مرات أسبوعيا، لتساعد الأهالي بما أمكن من أدوية أو ملابس تقوم بتجميعها من أهل الخير أو إقامة معارض خيرية في الأندية لصالح الفقراء.

ولكنها أدركت أن تحقيق التغيير يحتاج لما هو أكثر من العمل الفردي ويتطلب مزيدا من العمل الجماعي، ولذلك فقد استطاعت بمساعدة اثنين من الشباب من نقل نشاط جمعية "بشاير" إلى المنطقة ليبدأ الثلاثة معا في رسم تصور النهوض بالمنطقة من خلال حشد طاقات الشباب الراغب في العمل التطوعي والخيري من كل مكان، ليلتف الجميع حول "رحاب" وفريقها الذي وصل عدده في وقت من الأوقات إلى أكثر من ٤٠٠ متطوع.

وهنا قررت أن تبدأ مرحلة جديدة من حياتها تنتقل فيها لتعيش كليا هي ووالدتها وسط أهالي تلك المنطقة وتبتكر ما يطلق عليه المشرف المقيم، لتقترب أكثر وأكثر من البسطاء وتشاركهم معاناتهم، وكم كانت لحظات قاسية تلك التي عانتها "رحاب" مع انقطاع المياه عن المنطقة لعدة أيام متواصلة، ورغم أن قرار عودتها إلى منزلها الأصلي لم يكن ليكلفها شيئا إلا أنها أصرت أن تواصل التحدي وتدخل معركة

التغيير والتنمية للمنطقة بتجاوز مرحلةَ تقديم الإعانات الشهرية للمحتاجين والعمل من خلال برنامج تنموي متكامل يشمل مركز التدريب المهني ومركز لرعاية الطفل، وتدوير مخلفات المنازل ونادي العلوم، بالإضافة إلى أعمال المساعدات للأيتام والمعدمين وإقامة حفلات الألف طفل وحفلات العرس الجماعي للفتيات بعد إتمام عملية تجهيزهن بمتطلبات الزواج.

انطلاقة بشائر الخير

وكانت الخطوة التالية هي دراسة ومسح لأعداد الشباب والأسر في المنطقة وتقسيمهم إلى فئتين: فئة لا تستطيع العمل نتيجة لعجز كلى أو جزئي وهي التي تستحق الكفالة الاجتماعية من خلال المساعدة الشهرية، وفئة أخرى تستطيع العمل وهي التي يتم مساعدتها في اختيار الحرف والمهن المناسبة لكل منهم حيث يتم تدريبهم عليها لتبدأ عملية التشغيل والإنتاج ثم المساعدة في عملية التسويق، وكانت بداية الشباب باستلهام تجربة بنك الفقراء الذي أسسه الدكتور "محمد يونس" في بنجلاديش بهدف تقديم الدعم المالي والقروض للفقراء من أجل إقامة مشروعات متناهية الصغر، فكانت كل أسرة بالمنطقة تحصل على ٣٠٠ جنيه كقرض حسن يتم رده من حصيلة أرباح المشاريع التي يتم إنشاؤها مثل تربية الأرانب والطيور أو صنع المربات والمخللات أو أكشاك بيع الحلوى، وبعد مرور ما يقرب من عام على بداية الفكرة أصبح لها ممولون يحتاجون فقط من يدير تلك المشاريع ويسدد رأس المال على أقساط مريحة.

كما تم تأسيس مركز رعاية الطفل بهدف إخراج الطفل من الظروف البيئية السيئة المحيطة به وتوعية الأطفال وأسرهم بما يضمن التوازن بين تفجير طاقاته ومواهبه والارتقاء بالبيئة المحيطة من خلال تقديم وجبة أسبوعية وإجراء كشف دوري وعلاج الأطفال والتعاون مع ثلاث حضانات في المنطقة في هذا الشأن وإجراء مسابقات في المنطقة عن أجمل حجرة وأجمل بيت وأجمل شخصية.

بلاضافة إلى لقاء الألف طفل الذي يستهدف مقاومة سلبيات شخصية طفل العشوائيات وطفل مؤسسات الرعاية مثل هشاشة وضعف الثقة بالنفس وازدياد حالات الانحراف والسرقة والفشل في العمل وانعدام الاهتمام بالمواهب والمهارات من خلال اكتشاف المواهب وبناء الشخصية على الدين كما تجرى مسابقات في حفظ القرآن والتلوين والعروض الفنية .

أما فكرة تدوير مخلفات المنازل فهي تقوم على إفادة سكان العشوائيات ببواقي أو مخلفات المنازل من أجهزة أو ملابس أو أي أدوات يتم نقلها إلى بيوت العشوائيات للاستفادة بها حيث يتم تجهيزها وإصلاحها لإعادة استخدامها مرة أخرى، والأشياء التي لا يمكن الانتفاع بها يتم بيعها والاستفادة من قيمتها مهما كانت بسيطة ولكن التجربة تشهد نجاحاً لان المنطقة تقوم على تجارة المخلفات والخردة وذلك لوجود عدة مقالب للمخلفات قريبة منها .

وكانت فكرة نوادي العلوم هي شغل أطفال هذه المنطقة بأنشطة تنمى مهاراتهم وثقافتهم العلمية وربطها بالبيئة والتطبيقات العملية في واقع الحياة وتنمى لديهم الخيال العلمي وإيجاد بديل تربوي في منطقة

يصعب فيها السيطرة على سلوك الأطفال الذين يمضون معظم أوقاتهم في الشوارع.

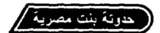
عوائق وصعوبات

وكانت أهم العوائق التي واجهت هذه الفكرة أن بعض المواطنين قد اعتادوا التواكل في الحصول على المال، كما أن ضعف الوازع الديني والأخلاقي لدى البعض تسبب في عدم التزامهم برد القرض، فبدأت الجمعية في حل هذه الإشكالية بتقديم محاضرات ونشر الوعي بثقافة الأمانة، كما تم تبسيط أسلوب السداد ليصبح قيمة القسط اليومي جنيهًا واحدًا، وكان نتيجة ذلك أن الأسر تفاعلت ايجابيا مع المشروع من خلال انتظامهم في السداد لشعورهم بأن تأخير السداد معناه تأجيل انضمام أسرة جديدة لبنك الفقراء.

ولا تزال رحاب تذكر أحد مشاريع بنك الفقراء وهو مشروع "عم علام"، الذي كان يمتلك عربةً لبيع المأكولات ولكنه لا يقدر على توفير الأدوات التي تساعده في مشروعه فقامت بتوفيرها له وشراء الأطعمة وبعض احتياجات المشروع، وهو الآن يتكسب منها ويساعده في العمل أبناؤه الأربعة رغم أن بعضهم يحتاج إلى تغيير صفائحهم الدموية باستمرار.

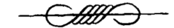
وتستمر الرحلة

كانت النتائج التي تحققت في "أبو رجيلة" ملفتة مقارنة بما كانت عليه من قبل، فقد استطاعت جيوش المتطوعين من الشباب جذب أنظار الجميع لهذه المنطقة، لدرجة أن عدد الجمعيات الخيرية العاملة بها ارتفع إلى ١٣ جمعية تقدم أنواع الإعانات والتنمية بصورها المختلفة، وأصبح



الجميع يعمل كخلية نحل ويتسابق لتحسين وتطوير المنطقة وخصوصا بعد صدور القرار الحكومي الصادم بإزالة مساكن وعشش هؤلاء البسطاء.

وعندها شعرت "رحاب" أنها قد أدت رسالتها لتقرر ترك المنطقة وإكمال مسيرتها في منطقة جديدة وبتجربة جديدة من خلال جمعية نهر الحياة، لتثبت من خلالها أن الفتاة قادرة على عمل الكثير وأن العزيمة والإصرار على بلوغ الهدف متى وجدا فهما قادران على تحقيق المستحيل، كما أنها رسمت النموذج التي نتمناه للعمل الخيري التطوعي الواعي الذي يؤدي دوره التنموي في الارتقاء بقدرات المجتمع من دون التذرع بالتقصير الحكومي، وتسطر صفحات نجاح مستمرة لحدوتة بنت مصرية.





جمهورية المصابيح

جمهورية المصابيح

لم يكن هناك من يتوقع على الإطلاق نجاح مجموعة من العمال البسطاء في إدارة أحد أكبر المصانع وإنماده من الإفلاس، بل وتحقيق نتائج وأرباح لم تكن تخطر على البال، وأن يحدث كل ذلك في مصر.

تلك هي ملخص تجربة عمال شركة "المصابيح الكهربائية" بمدينة العاشر من رمضان والذين صنعوا الملحمة وأسسوا ما يعرف "بجمهورية المصابيح"، نتيجة قدرتهم على الاستقلال بالإدارة وتحدي الظروف الصعبة وتسجيل السبق كأول حالة من نوعها في مصر.

بداية رحلة التحدي

يرجع أصل الحكاية إلى العام ٢٠٠١ حينما قرر مالك المصنع "رامي لكح" إغلاقه، وذلك بعد هروبه إلى فرنسا واقتراضه ١٢٢مليون جنيه بضمان المصنع (حسب الروايات الرسمية)، تاركا ٢٥٠ عامل بلا مورد رزق، ولكن بعزيمة الرجال لم يستسلم هؤلاء العمال بسهولة فقاموا باتخاذ كل الإجراءات القانونية وتقديم الشكاوى المتعددة إلى وزارة العمل والتي بدورها لم تؤد إلى أي نتيجة، فقرروا الاعتصام في قصر "لكح" القريب من منزل الرئيس بمصر الجديدة، وهو الأمر الذي كان بمثابة عامل ضغط أدى إلى الموافقة على صرف ربع راتب شهر وبما

يعادل ٥٥ ألف جنيه للعمال ككل، غير أن رجال المصنع كان لهم رأي آخر حين قرروا أن يستخدموا هذا المبلغ في إعادة تشغيل المصنع بدلا من توزيعه كأجور فيما بينهم، متفقين علي أن يرضوا بالقليل مهما كان في الشهور الأولى.

ليبدأ العمال مرحلة جديدة ومختلفة يواجهون فيها المجهول دون وجود أي عوامل للنجاح، فكان قرارهم الأول بانتخاب لجنة لتشغيل وإدارة المصنع يكون فيها الجميع متساوون في تحمل المسئولية كل في موقعه لا فرق بين مدير وعامل ولا فني وإداري، فالكل يحصل علي نسب متساوية من الأجور، وفي بداية التجربة كان العمال يحصلون علي ٥٠٪ من الأجر الشهري الذي قرروه لأنفسهم لتبدأ هذه النسبة في الزيادة تدريجيا حتي وصلت إلي ١٠٠٪ بمرور الوقت وذلك بناء علي ما كان يتم تحقيقه من هامش ربح بعد تغطية تكاليف الإنتاج.

ولمزيد من الرقابة والشفافية في تجربتهم كانت لجنة التشغيل المنتخبة تلتزم بتقديم تقرير شهري شامل عن أحوال المصنع أمام اجتماع عام للعمال، كما يتم خلال الاجتماع اتخاذ القرارات الإدارية التي تخص المصنع بشكل ديمقراطي ليلتزم بها الجميع.

وخلال هذه الفترة واجه العمال الكثير من المصاعب التي تم التغلب عليها بروح الفريق والمسئولية التي تملكتهم، وهو ما دفع بالكثير منهم للقيام بمهام خارج نطاق اختصاصه بدءاً من أعمال النظافة، حتي البحث عن مشترين لمنتجات المصنع، وتوفير العملة الصعبة اللازمة لاستيراد مستلزمات الإنتاج في ظل الارتفاع الجنوني لأسعار

الدولار وقتها، بل إن الكيميائيين استخدموا فرن المصنع لإنتاج أحد مكونات مواد النظافة لتباع لمصانع المنظفات وتزيد من عوائد المصنع.

إفشال التجربة

الجانب الأصعب من المعوقات تمثل في عدم وجود أي دعم حكومي لهذه التجربة، فهيئات المرافق كالكهرباء والمياه هددت بإغلاق المصنع بسبب عدم سداد الفواتير السابقة، ولكن العمال لم يعدموا حيلة، فتغلبوا علي مشكلة فواتير المياه بأن حفروا بئراً ارتوازياً للحصول على المياه الضرورية، كما تم التقليل من استهلاك الكهرباء بابتكار وسائل فنية أخري لتبريد الماكينات.

وكان لابد من أن تتوقف التجربة حتي لا تتحول إلي نموذج يحتذي به العمال في المصانع الأخرى وفي الوقت الذي بدأ العمال يشعرون بنشوى الانتصار بدأت التدخلات الحكومية العنيفة خاصة أن ما تم تحقيقه من نجاح دفع العمال للمطالبة بالمزيد من الحقوق ومنها إعطاء لجنة تشغيل المصنع الصفة القانونية في إدارة مصنعهم بدلاً من تركهم عرضة لمستقبل لا يعلمونه ومنحهم قرضاً قيمته ٥ ملايين جنيه كي يستطيعوا شراء خامات تكفيهم لعمل العمرات اللازمة لفرن الزجاج وآلات المصنع ليعمل بكل طاقته وخطوط إنتاجه المعطلة التي من الممكن أن تستوعب ٦٠٠ عامل آخر في محاولة لاستعادة زملائهم الذين تم تسريحهم في عهد رامي لكح وأكد العمال وقتها - أغسطس ٢٠٠٤ - أنهم علي استعداد لسداد قيمة القرض بل وإنهم مستعدون أيضاً بأن يدخل البنك كمراقب مالي لضمان حقه وهم مستعدون للتعامل مع أي بدائل أخري لحل مشكلة تمويل المصنع ويقترحون حل المشكلة من عائد مصانع رامي

لكح الأخرى كمصنع "فل" المجاور لهم ما دام مصنع المصابيح الكهربية مملوكاً له قانوناً.

ورغم ان العمال لم يطلبوا الكثير ولم تتجاوز أحلامهم وطموحاتهم سوي الحفاظ علي وظائفهم ورواتبهم منها.. و لم يطلبوا إعفاءات كان يحصل عليها رجال أعمال هذا الزمان ولم يطالبوا بتغيير الوضع القانوني للملكية أو بترتيب أي إجراءات علي ما فعلوه بل إنهم كانوا يريدون تقديم 600 وظيفة جديدة للمجتمع فإن الرد الحكومي تمثل في العمل بكل السبل لضرب التجربة ففي ديسمبر٢٠٠٥ أصدرت وزارة المالية قرارا باعتبار مصنع المصابيح الكهربائية مغلقا منذ العام ٢٠٠١ وأن جميع العاملين مفصولون تأمينياً وعدم الاعتراف بقرار فتح المصنع وعدم الاعتراف بجميع القرارات الحكومية الصادرة منذ ٢٠٠١ حتي الآن والتي أكدت أن المصنع يعمل بإدارة العمال في ظل التفتيشات التي قامت بها التأمينات بالعاشر ومكتب العمل والوزارة، حتي جاء القرار الجديد بإغلاق ملف المصابيح نهائيا واعتبار الفترة التأمينية والمسجلة علي الكمبيوتر حتي ٢٠٠٤ والتي عليها المشكلة كأن لم تكن، وحدث ذلك بعد قرارات " لكح " التي أرسلها لمندوبه في القاهرة بتجميد نشاط اللجنة النقابية وفصل بعض العمال الأمر الذي تسبب في حرمان ٥ أسر توفي عائلهم من المعاش، و١٢ عاملاً آخر أصيبوا بإصابات عمل، بالإضافة إلى حرمان جميع العاملين من العلاج بالتأمين الصحي. لتبدأ بعد ذلك جولة جديدة في المحاكم يخوضها المصنع ممثلاً في عماله للحفاظ على حقوقهم، بالإضافة إلى موقفهم الصلب من خلال الاعتصامات والاحتجاجات المتتالية، معلنين أنهم لن يتراجعوا عن إتمام ما بدأوه، وأنهم مستمرون في نضالهم ونجاحهم في تشغيل المصنع حتى

الآن، بينما يكتبون بجهدهم قصة نجاح عمالي ترسم الطريق أمام عمال مصر، ورغم استمرار الضغوط الحكومية وإعادة طرح قضية التأمينات وإغلاق المصنع مع نهاية ديسمبر ٢٠٠٦ فإن العمال تصدوا لذلك وأصروا علي كتابة قصة نجاحهم للنهاية في مواجهة الضغوط التي يمارسونها عليهم وبالفعل نجحوا في انتزاع وعد من وزير المالية بالحفاظ علي حقوقهم التأمينية ويبدأ عمال المصابيح دورة جديدة في الدفاع عن حقوقهم بالمطالبة معلنين أنهم لن يتراجعوا عن إتمام ما بدؤوه وهو ما يؤكده صالح محمد نسيم رئيس اللجنة النقابية للمصابيح مؤكدا أنهم سيستمرون في نضالهم لتشغيل المصنع وضد قرارات سرقة الحقوق التأمينية لـ٣٥٠ عاملا وأسرهم وسرقة جهودهم طوال الستة سنوات الأخيرة التي اخذوا على عاتقهم فيها مهمة إحياء مصنعهم من حالة الموت التي كان يسعي صاحبه لتنفيذه ويؤكد "صالح" أنهم لن يتراجعوا مهما كان الثمن فالتجربة علمتهم ألا يفرطوا في حقوقهم مهما كان الثمن.

تجربة فريدة

صحيح أن هناك العديد من دول العالم سبقتنا في هذا الأسلوب من التعامل مع مستجدات الخصخصة وتوابعها فيما أصبح يسمى "بحركات استعادة الشركات"، وأصبحت هذه الظاهرة معروفة في الأرجنتين وفنزويلا، بالإضافة إلى العديد من الدول الأوروبية مثل اسبانيا وإيطاليا وفرنسا، حيث يستعيد ألاف العمال شركاتهم المفلسة ويعيدون إحياءها. فبدل أن يتحولوا إلى عاطلين عن العمل، ها هم يفضلون إعادة إطلاقها على شكل تعاونيات تحظى بدعم حكومي لاستمرار عمل الموظفين مما يوفر على الدولة صرف بدلات البطالة.



ففي اسبانيا وحدها تمكن العمال من استعادة ٢٨٥٠٠ وظيفة في شركاتهم من خلال إعادة تشغيلها، وفي الأرجنتين هناك أكثر من ٢٠٠ شركة تمت استعادتها من قبل العمال وتشغيلها ذاتيا، ولأن هذه الظاهرة أصبحت أكثر انتشارا على المستوى الدولي فقد عقد في فنزويلا الاجتماع الأول لعمال استرداد الشركات والذي حضره ممثلون عن ٢٠ دولة اتبع العمال فيها نفس الأسلوب في الإدارة الذاتية وحققوا نجاحات ملموسة.

ولكن تبقى تجربة "جمهورية المصابيح" الأكثر تميزاً، لأنها تمثل سباحة ضد التيار وقدرة هائلة على الصمود في مواجهة المعوقات لإثبات الذات وتحقيق النجاح، وهي تجربة مهمة تثبت المعدن الأصيل للإنسان المصري، وتضرب نموذجاً يمكن الاحتذاء به للشركات الخاسرة أو تلك التي يتهرب أصحابها من واجبهم وهو الأمر الذي ينتج عنه تشريد عشرات الآلاف من العاملين سنويا دون ذنب منهم.





أمير الفقراء يظهر من جديد

أمير الفقراء يظهر من جديد

بإعلان أسماء الفائزين بجائزة نوبل للسلام كل عام، يجب أن نتذكر دوما الشخصية التي بهرت الجميع عندما تم تسليط الضوء عليها ليستحق عن جدارة تلك الجائزة التي خلدت اسم البروفيسور محمد يونس من بنغلاديش، عن جهوده المستمرة لأكثر من ثلاثين عامًا في محاربة الفقر وإنشاء بنك الفقراء (جرامين). وبالرغم من الصخب الإعلامي الذي صاحب فوزه بهذه الجائزة في ذلك الوقت، إلا أن ذلك لم يترجم إلى واقع على الأرض في أغلب الدول العربية وليس أدل على ذلك من أن برنامج الحوار الذي ينظمه البنك لعام ٢٠٠٧ والمعني بنقل التجربة خارج بنغلاديش لم يشهد سوى وجود الهند وسريلانكا وكوستاريكا وإندونيسيا.

ولكن مع صدور تقرير الأمم المتحدة والبنك الدولي مؤخرا عن حالة الفقر في العالم، والذي أوضح وجود تزايد في أعداد الفقراء بالعالم العربي، لدرجة أن بلدًا بحجم مصر وصل فيها عدد الفقراء إلى ٢٨ مليون مواطن بما يمثل حوالي ٤٠٪ من عدد السكان، وهؤلاء هم من يقل دخلهم عن٢٧ دولارًا شهريا، كما أن نصف هؤلاء يقعون ضمن نطاق الفقر المطلق ويقل دخلهم عن ٢٠ دولارًا شهريا. أجدني مضطرا لاستعادة تجربة بنك الفقراء مرة أخرى لتكون أداة هامة تمكننا من القضاء على

الفقر أو تقليله، وربما وضعه في المتحف كما يحلم الدكتور يونس لبنجلاديش عام ٢٠٣٠.

البنك في سطور

بلغة الأرقام.. فإن بنك جرامين قدم في السنوات الماضية قروضًا تجاوزت ثمانية مليارات دولار لأكثر من عشرة ملايين من الفقراء غير مؤهلين للاقتراض من البنوك التقليدية، وتتراوح قيمة القرض من خمسين إلى مئة دولار دون أدنى ضمان. كما يقدم البنك خدماته في حوالي 71 ألف قرية، وتبلغ نسبة النساء ٩٧٪ من المقترضين. ولا ينتظر البنك دائما الفقراء حتى يأتونه بل يسعى إليهم في مواقعهم ويقدم القرض المناسب لهم، يشجع البنك صيغ الاقتراض الجماعي بدون ضمان في مجموعات من خمسة أفراد، في مقابل خلق «مسؤولية تضامنية بين المقترضين»، وتبلغ نسبة سداد القروض ٩٩٪ وهى نسبة لا تتوفر لمعظم البنوك التي تتعامل مع الأغنياء رغم الضمانات الكافية التي تؤخذ منهم.

وتظهر التجربة اهتماما متزايدا بقضايا التنمية بمحاورها المختلفة، فيهتم البنك بتحسين حالة المسكن وبخاصة في بلد مثل بنغلاديش الذي يعيش أغلب سكان الريف به في أكواخ مبنية من البامبو، فيعطي البنك للفقراء ثلاثة مستويات من قروض الإسكان تختلف حسب عدد سنوات العضوية في البنك، وتسدد القروض في أقساط أسبوعية خلال مدة حدها الأقصى عشر سنوات.

كما يهتم البنك بتحسين الوضع الصحي للمجتمع ويتناول المدخل البيئي والسلوكي في الصحة، مثل بناء المراحيض الصحية، والعمل على شرب الماء النظيف، وتم إنشاء تسعة مراكز صحية تابعة للبنك لتتعامل

مع المشاكل الصحية للمقترضين وأسرهم في تلك المناطق، كما يمكن لغير أعضاء البنك في تلك المناطق أن يتلقوا العلاج الصحي في تلك المراكز.

بالإضافة إلى ذلك فهناك اهتمام بتحسين التعليم، وذلك عبر برامج قروض التعليم العالي ومساعدة الطلاب الفقراء والمتفوقين على مواصلة تعليمهم العالي على أمل إنشاء جيل من الفقراء المتعلمين تعليما عاليا يجعلهم قادرين على الخروج من دائرة الفقر. ولذلك فقد أسس البنك بالتعاون مع اليونسكو "مؤسسة جرامين للتعليم" التي تستهدف التعليم المستمر للنساء الفقيرات الأميات من عضوات البنك.

ولم يكتف البنك بتقديم هذه الخدمات فقط وإنما توسعت أنشطته بشكل ملحوظ، وأنشئت مجموعة جرامين التي تتضمن ١٧ مؤسسة تعمل في مجالات مختلفة، فهناك مثلا مؤسسة تعمل في مجال الطاقة بهدف توفير الطاقة المتجددة في القرى المحرومة من الكهرباء، ومؤسسة جرامين تيليكوم المتخصصة في إدخال ثورة المعلومات إلى الريفيين ومؤسسة "جرامين للاتصالات" بالإضافة إلى مؤسسات تعمل في مجال تحسين نظام الري، والعمل على زراعة الأراضي غير المستغلة، صيد وتصنيع الأسماك، وتصنيع الغزل والنسيج ومساعدة النساجين بتوفير المواد والأصباغ والتصميمات الحديثة، وتقديم خدمات التسويق والتصدير إلى أوروبا والولايات المتحدة.

أهداف البنك

منذ أن كان المصرف مشروعًا عام ١٩٧٦م كانت الأهداف واضحة ومحددة كالتالي:

- مد التسهيلات المصرفية للفقراء من الرجال والنساء.
- القضاء على استغلال المرابين للفقراء.
- خلق فرص للتوظيف الذاتي للقطاع العريض غير المستخدم أو محدود الاستخدام من مصادر الطاقة البشرية.
- دمج القطاع المهمش من المجتمع في طيات نموذج مؤسسي، يستطيعون استيعابه والتعامل معه ويستمدون منه القوة: الاجتماعية- السياسية.. والاجتماعية- الاقتصادية.. من خلال تعاون ودعم متبادل.
- إدارة دفة الحلقة المفرغة القديمة: دخل قليل - مدخرات قليلة - استثمار قليل - دخل قليل، لتصبح نسقًا متصاعدًا من: دخل منخفض – ائتمان – استثمار - دخل أكبر - ائتمان أكبر - مزيد من الاستثمار - فمزيد من الدخل. وقد سلك المصرف طريقًا ذا معلمين أساسيين: الأول هو المشاركة أو مساعدة الفقراء كي يساعدوا أنفسهم. والثاني هو العمل للقادر عليه من الفقراء بديلاً عن الإحسان والصدقة أو من اليد السفلي إلى يد يحبها الله ورسوله.

رؤية مختلفة للفقر

يرى البروفيسور يونس أن الفقير إنما هو في الحقيقة مفقر من خلال منظومة من الرؤى والممارسات المجتمعية التي تؤدي لاستمرار حالة الفقر، أول هذه الرؤى والمفاهيم: النظرة السلبية للفقير على أنه شخص يفتقر إلى المهارات المهنية الخاصة، وأنهم لا يمتلكون إلا الجهد البدني، وأنهم بدون اكتساب مهارات لن يكون لهم قيمة في سوق العمل، وفي

هذا مغالطة كبيرة؛ حيث إن الأثرياء من أصحاب هذه النظرة هم أول من يستفيد من جهود ومهارات الفقراء، بل إن جزءاً كبيرًا من الدخل القومي يأتي من خلال مجهوداتهم، ثاني تلك المفاهيم: غموض تعريف وتحديد معنى الفقير؛ مما يؤدي إلى أن تضل برامج مكافحة الفقر طريقها، ويرى أنه من الأسلم تحديد فئات الفقراء على أساس معيار الدخل - الممتلكات، ويمكن طبقاً لهذا المعيار تحديد عدد من الشرائح أو من المستويات المختلفة من الفقراء.

كما يرى وجود العديد من الممارسات الخاطئة التي تحكم المعاملات المالية في العالم وأولها إحجام البنوك عن إعطاء الفقراء قروضًا؛ وذلك بوضعها شروطًا تعجيزية، وهو ضرورة توفر ضمانات مالية، ومن المعلوم دور القروض في تسهيل التعاملات المالية والتجارية والصناعية، ومن ثم يرى أن الائتمان هو حق أساسي من حقوق الإنسان تماماً كالمطعم والملبس والمأوى والتعليم والرعاية الصحية.

ثاني تلك الممارسات الربط الدائم بين مكافحة الفقر وخلق فرص وظيفية للفقراء على اعتبار أنه الحل الأمثل، على الرغم من أن الوظيفة قد تكون وسيلة لتخليد الفقر، وذلك إذا كان دخل الفقير لا يحقق له فائضًا، وهو الأغلب الأعم في وظائف الفقراء، أضف إلى ذلك أن تلك الوظائف غالبًا ما تحجب عن النساء الريفيات الفقيرات، ويرى بدلاً من ذلك ضرورة استثمار الوظائف التقليدية التي يمارسها الشعب كوسيلة للحياة في برامج للتوظيف الذاتي تحول الأعمال المنزلية البسيطة إلى موجة من المد الكبير للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

البعد الاجتماعي للتجربة

تتميز التجربة أيضا باهتمامها بالبعد الاجتماعي و يكفي أن نشير بإيجاز إلى أن القروض التي يقدمها المصرف تشترط كتابة ١٢ إقرارا تلزم المقترض بحفظ و تطبيق جملة من المبادئ و القيم وذلك حتى لا يقع تحت طائلة إلغاء القرض في حالة المخالفة. من هذه المبادئ: الانضباط، و مساندة الآخر في أوقات الشدائد، و المحافظة على البيئة، و الالتزام بقواعد الصحة العامة، والمشاركة في جهود إصلاح ما تدمره الكوارث الطبيعية، و ممارسة الرياضة البدنية الخفيفة، و عدم التهاون في إلحاق الأبناء بالمدارس.

أما الأهداف الاجتماعية فتتضح مما يلي:

- الفئة المستهدفة: فالمصرف متجرد للتعامل فقط مع فئة أفقر الفقراء: التي وضع لها محددان اثنان: ألا يمتلكون أراضي زراعية كحد أدنى، أو تقل حيازتهم عن نصف فدان من الأرض كحد أقصى. بالاضافة الى عدم امتلاك أصول، بمعنى أن تكون قيمة ما لديهم من ممتلكات لو بيعت لما اشتري بقيمتها فدان واحد. وهذا الأمر مناقض تماما لسياسة سائر البنوك التي لا تتعامل مع الفقراء، لأنهم لا يملكون الضمانات المالية التي تشترطها البنوك عادة.
- تعامل المصرف مع عملائه: عملاء المصرف من المقترضين من فئة أفقر الفقراء يمتلكون الآن ٩٢ ٪ من أسهم المصرف، وهم كذلك أعضاء في مجلس إدارة المصرف (٩ من ١٢عضواً بنسبة ٦٩٪ تقريبًا)، وهم بذلك المستحقون لأرباح المصرف عن استثماراته،

وهم بذلك أيضًا مشاركون وبقوة وعلى أعلى مستوى في صنع القرار داخل المصرف.

- القرارات الستة عشرة: وهي تلك القرارات التي اتخذت في ورشة العمل القومية والتي حضرها مائة من النساء من رؤساء المراكز والتي عقدت في جويدفبور التي تقع على مسافة ٤٠ كم إلى الشمال من العاصمة دكا) في مارس من عام ١٩٨٤م، وهذه القرارات تعد وبحق دستور التنمية الاجتماعية داخل المصرف، حيث يطلب من كل عضو (أي عميل) في المصرف أن يحفظها ويطبقها.

وتتضمن القرارات تعهدًا بمبادئ عامة مثل: الانضباط، والوحدة، والشجاعة، والدأب، ورفض الظلم للنفس، أو للآخرين، والتعاون، وبخاصة في أوقات الشدة. كما تحض القرارات على الحرص على الالتزام بنظافة البيئة والأطفال، والحرص على مبادئ الصحة العامة؛ باستعمال المياه النظيفة أو تطهير المياه المتوفرة، وكذا استعمال المراحيض الصحية، والحرص على الطعام الصحي المتمثل في الخضراوات، إضافة إلى إدخال التمرينات الرياضية في اجتماعات المراكز، كما تحض على تعليم الأبناء وتكوين أسرة صغيرة، وإصلاح المسكن الخرب والسعي لبناء مسكن جديد، وتتضمن القرارات كذلك حثًا على تنمية الموارد من خلال الزراعة والاستثمارات المشتركة، وعلى تقليل النفقات، وتتضمن القرارات كذلك نهيًا عن عادة اجتماعية مرذولة وهي ما يعرف "بالدوري"، وهو مبلغ من المال تدفعه المرأة في بنجلاديش للرجل الذي سيتزوجها فيما يشبه المهر. وكل

تلك الأمور السابق ذكرها ليست من شأن ما تعارف الناس عليه من بنوك، بل هو من صميم عمل المؤسسات والحركات الاجتماعية.

دور المرأة وحقوقها في منظومة البنك

تمثل المرأة نسبة ٩٤ ٪ من عملاء المصرف وبالتالي فهم يمثلون نفس النسبة من مالكي أسهم المصرف، كما أنهم يمثلون كما قلنا ٦٩ ٪ من عضوية مجلس الإدارة، ولهذا التركيز الواضح مبرراته وهي:

نظرة المصرف للأعمال المنزلية للنساء الريفيات الفقيرات كمورد اقتصادي غير مستثمر أو محدود الاستثمار، ومن ثم وجب تصحيح الوضع باستثماره لمصلحة الفقراء.

تعرض هؤلاء النسوة لقهر اجتماعي مزدوج، أولاً: لأنهن فقيرات، وثانيًا: لأنهن نساء، ومن ثم يتعرضن لتحمل العبء الأكبر لمشكلة الفقر داخل الأسرة.

خبرة المصرف: حيث كانت نسبة العملاء من النساء في البداية ٥٠ ٪ ثم لوحظ أن الأسرة الفقيرة تحقق فائدة فورية إذا كان التحسن في دخلها عن طريق المرأة، بينما لا يحدث نفس التحسن أو على الأقل لا يحدث التحسن في نفس النسبة من الأسر التي يزيد فيها دخل الرجل، فالمرأة تضع أسرتها وأولادها في قمة سلم أولوياتها بينما الرجل لديه سلم مختلف للأولويات.

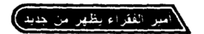
روح الإبداع والتجديد

الإبداع والتجديد هما قاطرة النهضة في أي أمة، ومن ثم كانت أهمية هذه السمة في تجربة مصرف جرامين. إبداع منذ النشأة: وعلاقة

المصرف بالإبداع قائمة منذ النشأة، فالمصرف فريد في عملائه وفي تعامله معهم كما قلنا، وهو أيضًا فريد في أسلوب معالجته لقضية الفقر، وهو فوق ذلك فريد في نظامه القائم على ضمان المجموعة والمركز. الإبداع كروح وآلية: والإبداع أيضًا هو روح تسري في المؤسسة، وآلية ذات خطوات، على النحو التالي:

- غرس الرؤية النقدية منذ اللحظة الأولى: أول ما يطلب من المتدربين من الموظفين الجدد أن يبدوا ملاحظاتهم واقتراحاتهم للتجديد في إجراءات المصرف، حتى من قبل أن تتاح لهم الفرصة ليعرفوا ماذا يفعل المصرف وكيف؟ وهو ما يجعل عقولهم وحواسهم في قمة يقظتها.
- عقلية تحل المشكلات: يحرص المصرف على خلق عقلية حل المشكلات بين المتدربين والموظفين، ومن ثم تتردد كثيرًا كلمات مثل: لكل مشكلة حل بسيط، والمشكلة وحلها وجهان لعملة واحدة، ومثلاً: إذا لم تجد حلاً لمشكلتك فسبب ذلك أنك لا تفهم المشكلة، وأن عليك الانغماس تمامًا في المشكلة حتى تستطيع إيجاد الحل، ومثلاً: أن لكل مشكلة دائمًا أكثر من حل، لكن دائمًا هناك حل هو الأفضل، وعليك أن تجتهد في البحث عنه.
- بين الأهداف والإجراءات: يتم التشديد دائمًا على أن أهداف مصرف جرامين أهم بكثير من النظم والإجراءات، ويستطيع كل واحد أن يقترح تعديلات كبرى في نظم وإجراءات المصرف طالما أنها لا تحدث انقلابًا في الأهداف.

- بين القولبة والتمايز: يتجنب برنامج التدريب في المصرف دائمًا صب الموظفين في قالب واحد، ينظرون ويفكرون ويتفاعلون بطريقة متماثلة، ويحاول أن يبقي على التمايزات، ففي أوقات الأزمات تتعرض المؤسسات للانهيار إذا كان تفكير وأفعال الجميع مصبوبة في قالب واحد، بينما تقل احتمالات الانهيار حيثما تكثر الآراء وتستطيع العقول أن تتفاعل.
- مناخ ملائم للإبداع: لخلق جو من الإبداع يُخبَر كل واحد من العاملين في المصرف بأنه يستطيع أن يكتب إلى رئيس مجلس الإدارة مباشرة إذا كان يريد أن يوصل فكرة جديدة، إذ يقال: إن الأفكار الجديدة أكثر أهمية من أن تترك لتمر بالقنوات المعتادة، وتلعب الصحيفة الداخلية "أدّوج" (وتعني المبادرة) دورًا مهمًا في نشر جو الإبداع، حيث يكتب كل أصحاب الأفكار والتجارب الجديدة عن أفكارهم وتجاربهم.
- حرية تطبيق الأفكار الجديدة: يشجع المصرف مديري القطاعات على أن يطبقوا برامجهم التجديدية بدون أي معوقات، لكنهم ينصحون بالتجريب في فرعين في وقت واحد؛ لتقليل أهمية العوامل الشخصية والمحلية، ولا يطلب منهم أن يبدوا مبررات مسبقة لتجاربهم، ولا يكتبون تقارير في هذا الشأن للمكتب الرئيسي إلا عندما يشعرون أن التجربة قد نجحت، وإذا فشلت ربما يختارون عدم الكتابة مطلقًا.



نموذج للعمل المؤسسي

المؤسسية تعني تحول الفكرة إلى مؤسسة، أو تحول الحلم إلى حقيقة واقعة تأخذ شكل المؤسسة. كما تعني البناء المؤسسي التنظيمي ووحداته وشكل العلاقة بينها، وفي هذا الإطار تعتبر المجموعة هي أصغر وحدة بنائية في مصرف جرامين، وكل مجموعة تتكون من خمسة أفراد، والوحدة التالية هي المركز ويتكون من ٦- ٨ مجموعات، وهاتان الوحدتان هما وحدات للأعضاء أو المقترضين فقط، والوحدة التالية هي الفرع، وبداية من هذه الوحدة نجد أن الوحدات تُعبّر عن مقترضين وموظفين، فالفرع مثلاً يتكون من ٦٠ مركزًا أي من ٣٦٠ إلى ٤٨٠ مجموعة، أي من ١٨٠٠ إلى ٢٤٠٠ عميل، ويعمل في فرع المصرف عدد ٩ موظفين منهم ٦ ميدانيين ومدير فرع ومساعد له ومراسل ويشرف كل موظف ميداني على عدد ١٠ مراكز، بواقع مركزين في كل يوم من أيام العمل الميداني من خلال ما يعرف باجتماعات المراكز والتي تعقد فيما يعرف بدور المراكز، ومن ثم فإن المركز هو نقطة التماس بين موظفي المصرف والمقترضين، ومن هنا تتبع أهمية المركز كوحدة بنائية، على الرغم من أن المجموعة هي الوحدة أو اللبنة الأساسية في بناء تنظيم الأعضاء المقترضين، بينما الفرع هو الوحدة البنائية الأساسية في تنظيم الموظفين لأنها وحدة التعامل المباشر مع العملاء.

والوحدة التالية لذلك هي مكتب المنطقة ويعمل بمكتب المنطقة ٦ موظفين ويشرف على سير العمل في عشرة فروع، ثم تأتي الوحدة التالية وهي مكتب القطاع ويعمل به ٣٥ موظفًا ويشرف على متوسط ٩

مناطق، والوحدة التالية والأخيرة هي المكتب الرئيسي ويشرف المكتب حاليًا على ١١ قطاعًا.

أما من حيث العلاقة بين تلك الوحدات فهي علاقة فيدرالية بين وحدات ذات استقلال ذاتي. وذلك ينطبق على الوحدات من الفرع إلى القطاع. ويقتصر دور الوحدات المشرفة على توجيه وإرشاد الوحدات التي تشرف عليها فقط، ولا يحدث التدخل إلا في حالات الطوارئ فقط، عندما يحتاج مسئولو تلك الوحدات إلى معونة الجهة المشرفة وتدخلها المباشر. والمسئوليات في ذلك واضحة ومحددة؛ فإذا حدث إنجاز في أحد الفروع؛ فإن التهنئة تذهب لمدير الفرع دون مدير المنطقة المشرفة، بينما إذا حدث أمر سيئ في الفرع؛ ينزل اللوم على رأس مدير المنطقة دون مدير الفرع.

والشكل الآخر من أشكال العلاقة بين تلك الوحدات هو علاقة ضبط جودة الأداء من الوحدات الأكبر إلى الوحدات الأصغر. ويقابل هذه العلاقة علاقة اخرى تقوم على تدفق وثائق المعلومات المالية والإدارية من الوحدات الأصغر إلى الوحدات الأكبر.

المشاركة الديمقراطية في صنع القرار

وتأخذ تلك العملية مسارين أساسيين:

- المسودات الدوارة فعندما تعتزم إدارة المصرف وضع أطر لسياسات وقواعد وتنظيمات جديدة تختص بالإدارة فإنها تقوم بإعداد مسودة لها، ثم تقوم بإرسالها الى رؤساء الأقسام بالمكتب الرئيسي وإلى مديري القطاعات، فإذا كان الموضوع ذا أهمية قصوى ترسل نسخ من المسودة إلى مديري المناطق، وربما يرى هؤلاء أن يرسلوا

تعليقاتهم كتابة أو ربما يعقد كل منهم لقاءات مع مرءوسيه لمناقشة الموضوع، ومن ثم يرسلون بردود أفعالهم التي تتلقاها لجنة المسودات، وتطالعها ثم تقوم بإعداد مسودة أخرى تمرر مرة أخرى، فإذا لاقت المسودة الثانية رضا صدر قرار بمحتواها وإلا تكررت العملية، وإذا لم تحظ المسودة بالرضا في عدة دورات يتم عرض الموضوع على مؤتمر مديري القطاعات والذي يعقد ثلاث مرات سنويًا

- المؤتمرات: ويعد مؤتمر مديري القطاعات من أهم تلك المؤتمرات لما له من دور في عملية صنع القرار وفي الإدارة العامة بالمصرف، ويعقد المؤتمر لمدة يومين أو ثلاثة، ويتم التحضير للمؤتمر قبله بشهرين، حيث يعد المكتب الرئيسي تقريرًا له يشتمل على نشاطات الأقسام وخططها المستقبلية، ويقدم مديرو القطاعات تقريرًا أيضًا عن النشاطات السابقة والخطط المستقبلية، وخلال المؤتمر لا يسمح لممثلي المكتب الرئيسي بانتقاد ما قام به مديرو القطاعات ولا حتى بإبداء عدم الرضا عن أي فشل، فقد جعل المؤتمر ليتحدث فيه مديرو القطاعات ويبدوا شكاواهم من المكتب الرئيسي، ولتتم مناقشة أسباب وعلاج أي قصور في أي من القطاعات على سبيل النصح لا الأمر. وتدعو النتائج الناجحة للمؤتمر مديري القطاعات لعقد مؤتمرات لمديري المناطق متتبعين فيه نفس النهج.

هذه هي المسارات التي يتبعها المصرف للمشاركة في صنع القرار وهو ما يزيل الكثير من التوتر وسوء الفهم في المؤسسة، حيث يتاح لكل

واحد أن يعرف ما هي القرارات؟.. ولماذا أخذت؟.. مما يخلق دعمًا لهذه القرارات.

كذلك تهتم المنظومة ببث روح المشاركة بين الجميع من خلال

برنامج ورش العمل: ويضم البرنامج ١٧ نوعًا مختلفًا من الورش الخاصة بالمقترضين، وتتم ٩٠ ٪ من هذه الورش على مستوى الفروع. وخلال العام الواحد يتم تنظيم ٢٥٠ ورشة على مستوى كل قطاع، تتراوح ما بين يوم وسبعة أيام، ثلاثة أرباعها للنساء والربع الباقي للرجال، وأهم هذه الورش هي ورشة الأيام السبعة، وهي لب برنامج التنمية في المصرف، وتنفذ على مستوى الفروع لأعضاء المراكز من النساء، ويحضرها ٣٥ من رؤساء المراكز أو نوابهم أو رؤساء المجموعات أو نوابهم، وتعقد الورشة في الفرع الواحد مرة كل عامين ويشرف عليها مسئول التنمية الاجتماعية بمكتب المنطقة أو القطاع. وخلال الورشة تتم مناقشة تقارير رؤساء المراكز حول مراكزهم، وتتاح للمشاركين مناقشة شئون مراكزهم مناقشة حرة، كما تتم زيارة سبع من مجموعات المنطقة، وعادة ما يزور الورشة مدير القطاع وغيره من كبار المسئولين الذين يشاركون بفعالية في أعمال الورش مستهدفين ثلاثة أهداف:

- رفع المعنويات.
- بناء الثقة.
- نقل المعلومات وتبادلها.

وخلال البرنامج تلقى محاضرات في الصحة والتغذية وتنظيم الأسرة.

ومن أهم تلك الورش أيضًا الورش التي تعقد على المستوى القومي كل عامين وتحضرها مائة من النساء ممثلات للأحد عشر قطاعًا، كما يحضر فيها خمسة موظفين من كل قطاع، منهم اثنان من إدارات التنمية الاجتماعية، ويقتصر دور العاملين على الاستماع لحديث المشاركات، وكانت أول ورشة قومية قد عقدت عام ١٩٨٢، وصدر عنها عشرة قرارات. وفي عام ١٩٨٤ في الورشة الثانية صارت القرارات ستة عشر، وهي تلك القرارات التي يطلب من أعضاء المصرف جميعًا الالتزام بها.

الانتخابات التصعيدية: وتهدف تلك العملية إلى انتخاب ٩ أعضاء من أصل ١٢عضوًا يمثلون مجلس إدارة المصرف، وتقسم قطاعات المصرف الأحد عشر إلى ٩ مناطق انتخابية لاختيار ممثلة لكل منطقة انتخابية. ويتم الأمر أولاً بدعوة رؤساء المراكز في كل فرع للقاء لمدة يوم واحد لاختيار ممثلة واحدة للفرع، ثم يعقد لقاء آخر لمدة يوم واحد أيضًا يحضره ممثلات الفروع في كل منطقة لاختيار ممثلة للمنطقة، ثم يتم اختيار ممثلة لكل قطاع بنفس الطريقة، ويعقد اجتماع مجلس إدارة المصرف ست مرات كل عام، ويستمر عمل المجلس لمدة أربعة أعوام. وتعد هذه الورش وتلك الانتخابات مدارس عملية لتنمية المشاركين فيها، الذين يحرص المصرف على تغييرهم بصفة دائمة، حتى تتاح الفرصة لمشاركة أكبر قدر ممكن، وهو الأمر نفسه الذي يحدث في انتخابات رؤساء المجموعات وسكرتيريهم ورؤساء المراكز ونوابهم الذين يتغيرون سنويًا، لإتاحة الفرصة لمزيد من المشاركة، ومزيد من التدريب على القيادة.

التنمية الاقتصادية

وتتخذ التنمية الاقتصادية في المصرف عدة محاور:

- قروض الاستثمار الفردي:

وإذا كان معيار التنمية كما يرى البروفيسور "يونس" هو ما يحدث من تحسن في حياة الـ ٥٠ ٪ التي تقع في قاع المجتمع، ولنعلم حجم ما أحدثه المصرف من تنمية علينا أن نعلم أن عدد المقترضين من المصرف بلغ أكثر من ٢ مليون مقترض مقسمين على ١٠٧٩ فرعًا تعمل في أكثر من ٣٦ ألف قرية حصلوا على أكثر من ١٩٦١ مليون دولار قروض.

- صناديق الادخار المختلفة.

وهي الصورة الثانية من صور التنمية الاقتصادية، وأهم هذه الصناديق صندوق ادخار المجموعة:

- صندوق ادخار المجموعة: وهو صندوق ادخار إجباري يلزم به كل عضو من أعضاء المجموعة، ويبدأ السداد فيه من أسبوع التدريب الذي يسبق اعتماد المجموعة ويستمر مع سداد الأقساط الأسبوعية بمقدار ٢ تكا في الأسبوع، وتتجمع تلك المدخرات في حساب خاص، وتدار ما فيه من أموال بواسطة المجموعة بمبدأ الإجماع، ويضاف إلى المدخرات ما يسمى بضريبة المجموعة وهي نسبة ٥ ٪ من القروض الفردية، إضافة إلى التعزيرات التي تفرض على من يخرق إحدى النظم المتبعة، ويحق لكل عضو في المجموعة أن يقترض من الصندوق لأي غرض استهلاكي أو استثماري بشرط موافقة باقي الأعضاء، وإذا بلغت قيمة مدخرات الفرد في الصندوق ١٠٠ تكا يُشترى له به سهم واحد من أسهم المصرف، يستحق عليه نسبة من الأرباح السنوية للمصرف، وقد

بلغت كمية المدخرات في صناديق ادخار المجموعات حسب تقرير أبريل عام ١٩٩٧م أكثر من ١٤٣ مليون دولار.

- صندوق الطوارئ: وهو نوع من الغطاء التأميني لحالات التخلف عن السداد والوفاة والعجز وغيرها من الحوادث، وتتكون موارد الصندوق من الرسم الإجباري الذي يدفعه المستفيد بنسبة ٥ في الألف من القروض التي تزيد عن ألف تكا، ويحدد مقدار ما يحصل عليه العضو من الصندوق بعدد مرات حصول العضو على قروض من المصرف، فالعضو الذي حصل على قرض واحد تستطيع أسرته الحصول على ٥٠٠ تكا، بينما من اقترض سبعة قروض تحصل أسرته على مبلغ ٥٠٠٠ تكا وهو الحد الأقصى.

- صناديق أخرى: إلى جانب صندوقي المجموعة والطوارئ هناك صناديق أخرى مثل صندوق المدخرات الخاصة، وصندوق رفاهة الأطفال، وسيأتي الحديث عنها لاحقًا. وإضافة لتلك الصناديق التي تعتمد على المدخرات الجماعية، يشجع المصرف الأعضاء على الادخار الفردي الاختياري من فوائض دخولهم في حساب للمدخرات الشخصية.

- الاستثمارات المشتركة: ويشرف عليها قسم التكنولوجيا بالمصرف منذ عام ١٩٨٦م. وطبقًا لحجم المشاركة فيه يمكن أن تقسم إلى:

- استثمار المركز الواحد.
- استثمار لعدد من المراكز.
- استثمار على مستوى الفرع.

- استثمار على مستوى المنطقة.
- استثمار على مستوى القطاع.
- استثمار على المستوى دون القومي .
- استثمار على المستوى القومي.

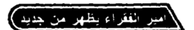
ومن المفيد هنا أن نتحدث عن صندوق المدخرات الخاصة وهو صندوق ادخار اختياري على مستوى المركز يساهم فيه العضو بمبلغ من ١ إلى ٥ تكا أسبوعيًا حسبما يقرر أعضاء المركز، وذلك في حالة رغبة الأعضاء في عمل استثمار مشترك، ويمد المصرف الصندوق بقرض لا يتعدى ١٠ أمثال المدخرات، ويقوم الأعضاء بسداد أنصبة متساوية من تلك القروض. ويعتقد البروفيسور "يونس" أنه بمرور الوقت ومع ازدياد الخبرة سوف تصبح هذه الاستثمارات المكون الأكبر في حياة الأعضاء الاقتصادية.

تحسين جودة الحياة

وذلك من خلال أربعة مداخل:

- المدخل الإسكاني: وهو من المطالب الأساسية للتنمية خاصة في بنجلاديش، حيث يعيش أغلب السكان في أكواخ من البامبو أو أعواد الجوت، ويعطي المصرف للأعضاء ثلاثة مستويات من قروض الإسكان حسب عدد سنوات العضوية:

المستوى الأول ويحصل العضو على ٦٥٠- ٧٥٠ تكا لإصلاح المسكن بعد عامين من العضوي.



المستوى الثاني ويحصل على قرض قيمته ١٠ آلاف تكا، ويحصل ضمنه على أربعة أعمدة ومرحاض صحي، وذلك بعد ثلاث سنوات من العضوية.

المستوى الثالث ويتراوح القرض بين ١٢ إلى٢٥ ألف تكا شاملاً مرحاضًا صحيًا وأي عدد من الأعمدة، وذلك بعد خمس سنوات من العضوية. وتسدد قروض الإسكان في أقساط أسبوعية في مدة أقصاها عشر سنوات وإن كانت لا تتجاوز غالبًا سبع سنوات.

- المدخل الصحي: وذلك من خلال برنامج جرامين الصحي والذي تقوم عليه مؤسسة جرامين ترست، والذي يهدف لمد الرعاية الصحية للفقراء المحرومين منها، وكذلك رفع مستوى الوعي الصحي لهم، ويركز البرنامج على الوقاية وتحسين الصحة، وفي إطار البرنامج أنشئت تسعة مراكز صحية لتتعامل أساسًا مع المقترضين وأسرهم مع إمكانية علاج غير الأعضاء، ويتكون المركز من ثلاثة مراكز فرعية، ويشرف عليه طبيب كمدير للمركز إضافة لمدير إداري، ويعمل به اثنان من الفنيين، ويعمل في كل من المراكز الفرعية ثلاثة من أعضاء المهن الطبية المعاونة، وقد بدأ المشروع عام ١٩٩٣م، وحتى يناير ١٩٩٧م كان يغطي ٤٧٪ من تكلفته المتكررة .
- المدخل التعليمي: ويتم ذلك من خلال صندوق رفاهة الأطفال الذي يصبح إجباريًا من القرض الثاني، ويساهم العضو فيه بمبلغ تكا

واحدة أسبوعيًا، ويستخدم موارد الصندوق في بناء أو تجهيز فصل متوسط الحجم أو مدرسة ذات فصل واحد لتعليم الأطفال في كل مركز يوجد حتى الآن ما يقرب من ١٧ ألف مدرسة مركز وكذلك لدفع أجر مدرس أو شراء الكتب بسعر التكلفة من المصرف، ويمكن الاقتراض من الصندوق لأغراض خاصة بعمل أنشطة صغيرة مدرة للدخل بين الأطفال لمساعدتهم على مواصلة التعليم، وتحصّل أقساط هذه القروض أسبوعيًا كالمعتاد.

- برنامج إعادة التأهيل بعد الكوارث: تعرضت بنجلاديش منذ استقلالها للعديد من الكوارث لعل أهمها مجاعة ١٩٧٤ وفيضانات ١٩٨٠ و ١٩٨٨، كما حدث فيضان في عام ١٩٨٧ أدى إلى الإضرار بخمسة وخمسين ألف من أعضاء المصرف في قطاع رانجبور، حيث فقد ٤٣ ألف منهم رؤوس أموالهم كليًا أو جزئيًا، ودمرت الفيضانات ٢٣ ألف منزل، وبلغت الخسائر في الثروة الحيوانية ما قيمته ٢٣ مليون تكا، وتوفي ٢٤ من الأعضاء و١٣٦ من أطفالهم، وتم جهود الإغاثة التي بذلها المصرف، والتي أنفق فيها ٨ ملايين تكا، إلا أنه قد بقي هناك ٣٨ ٪ من الأعضاء ممن عجزوا عن السداد. وفي عام ١٩٩١ قرر مديرو القطاعات في مؤتمرهم أن الإغاثة لن تكون كافية وأنه لابد من برنامج لإعادة التأهيل، ومن ثم عقدت لقاءات مع الأعضاء والموظفين لمدة شهرين لوضع ذلك البرنامج والذي تضمن:

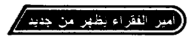
- تأمين الاحتياجات الغذائية الأساسية من خلال قرض للمخزون الغذائي بقيمة من ٣٠٠ إلى ٥٠٠ تكا تسدد في أقساط أسبوعية، وقد استفاد من القرض ٦٠ ألف عضو.

- كما تضمن قروضًا لاستعادة رؤوس الأموال تصل إلى ٢٠٠٠ تكا للعضو مع تجميد المصاريف على القروض غير المسددة، ويحدد العضو قيمة القسط الذي يستطيع سداده على ألا يقل عن ١٠ تكا في الأسبوع. وقد استفاد من هذه القروض ٤٠ ألف عضو.
- كما تضمن إعادة دمج أولئك الأعضاء من خلال ورشة عمل لمدة عشرة أيام للتذكير بنظم وقواعد المصرف مع إعادة تكوين المجموعات، كما تضمن البرنامج أيضًا قروضًا لاستعادة الأراضي الزراعية، وأخرى لاستعادة الثروة الحيوانية، وكذلك قروضًا لآلات الري والزراعة.

خلاصة التجربة

لقد كان الغرض واضحاً تماماً في ذهن محمد يونس منذ اليوم الأول. "أنا لا أساعد الفقراء..إنما أطارد الفقر". والفرق بين المعنيين كبير جدًا، فما يقضي على الفقر ليس لقمة توضع في فم الفقير، وإنما توجيهه إلى الإنتاج وتمويله وتدريبه وتعليمه وتسويق إنتاجه. وهي دورة متكاملة تغير حال الفقير كليًا من وضع المحتاج إلى وضع المنتج، من وضع أن يكون مستحقًا للزكاة إلى وضع أن يكون مقدمًا لها.

صحيح أن لكل مجتمع سمات وظروف تختلف عن السائد والمتوطن في المجتمعات الأخرى، وبالتالي فان تجربة ناجحة في مكان ما قد لا يمكن تطبيقها في مكان آخر عن طريق النسخ الكربوني. غير أن الصحيح أيضا هو أن الأفكار و الوسائل التي تنطوي عليها تلك التجربة بالإمكان استيرادها وتهيئتها لتناسب أوضاع مجتمعات أخرى إذا ما وجدت الإرادة الصادقة والرؤى الخلاقة. و هذا ما فعلته أقطار



كثيرة أقوى اقتصادا وأقل فقرا وأكثر تمدنا من بنغلاديش، يوم راحت تستفيد بالبروفسور يونس و تجربته الرائدة في بلده.





شهبندر تجار مصر

شهبندر تجار مصر

انه النموذج المعاصر لرجل الأعمال الناجح الذي رسم مسيرته بالجهد والعرق والكفاح، ليبدأ حياته من تحت الصفر بقليل، ويعطي مزيدا من الأمل في النفوس أن الخير دائما موجود، وله رجاله في كل زمان ومكان.

كانت نتائج استطلاع الرأي الذي أعده المركز القومي للدراسات الاجتماعية بخصوص الانطباع الشعبي عن رجال الأعمال معبرة عن المزاج العام للشارع المصري بشكل واضح، فالغالبية العظمى ممن شملهم الاستطلاع يرون صورة رجل الأعمال حاليا تتمثل في الرجل الجشع الذي يهتم فقط بجمع المال بأي طريقة، ويدفع الفتات للعاملين في مؤسساته، ويبحث عن المنصب السياسي لتقوية مركزه.

ولكن هذه الصورة تمثل الجانب الفارغ من الكوب فقط، والمتمثلة في مجموعة رجال الأعمال الأبرز على الساحة الإعلامية، بينما تبقى الكثير من النماذج المحترمة بعيدا عن تلك الدائرة، ولم تأخذ حقها الكافي من الشهرة، وهو ما دعا حركة "مواطنون ضد الغلاء" إلى تبني تكريم شخصية المواطن ورجل الأعمال الايجابي، والتي حازها عن جدارة واستحقاق "الحاج محمود العربي" صاحب مجموعة شركات "العربي"، أو "شهبندر تجار مصر" كما يحب أن يطلق عليه.

بداية بسيطة

وتمثل المسيرة الحافلة لحياة "العربي" نموذجا في الكفاح والمثابرة، فالرجل لا يخجل أبدا من الاعتراف بأنه ولد في أسرة ريفية متواضعة بقرية "أبو رقبة" بمحافظة المنوفية، وكان والده مزارعًا أجيرًا يزرع أرضًا ليست ملكه، ولذلك فلم يستطع أن يرسله ليكمل تعليمه، وإنما نشأ وتربى في كتاب القرية حيث بدأ في تعلم القران وهو في سن الثالثة، مما كان له التأثير الأكبر في تمسكه بالقيم والتقاليد الإسلامية طوال حياته، فهو دائم المحافظة على دفع زكاة ماله، والإنفاق في وجوه الخير كما أنه يرفض تماما أن يعمل في شركاته أي مدخن، ويشترط ذلك ضمن شروط التعيين.

وترجع بداية "العربي" مع التجارة في سن صغير جدا، بالتعاون مع أخيه الأكبر، الذي كان يعمل بالقاهرة وقتها فكان يوفر مبلغ ٣٠ أو٤٠ قرشا سنويا ليشتري بها ألعاب نارية وبالونات قبل عيد الفطر، وكان يفترشها على "المصطبة" (مكان مخصص للجلوس أمام المنازل الريفية مبني من الطين) أمام المنزل ليبيعها لأقرانه ويكسب فيها حوالي ١٥ قرشا، ثم يقوم بشراء بضاعة مشابهة في عيد الأضحى، ويبقى على هذا المنوال حتى بلغ العاشرة، حيث سافر إلى القاهرة عام ١٩٤٢ للعمل بمصنع روائح وعطور، وعمل به لمدة شهر واحد وتركه لأن طبيعته دوما لا تتوافق مع العمل الروتيني والأماكن المغلقة، لينتقل للعمل بمحل بشارع الحسين - كان يبيع كل شيء- وكانت سياسة صاحب المحل البيع الكثير والمكسب القليل، لكنه كان لا يحسن معاملة الزبائن فكانوا لا يقبلون على المحل أثناء تواجده ويتكاثرون أثناء وجود العربي، ولاحظ ذلك صاحب المحل، فكان يتركه ويجلس على مقهى مجاور للمحل،

وكان راتبه آنذاك ١٢٠ قرشا في الشهر، ويعمل به حتى عام ١٩٤٩ ويصل المرتب إلى ٢٢٠ قرشا، وبعدها فضل أن يعمل في محل لتجارة الجملة بدلا من المحل القطاعي ليزيد من خبرته، وكان أول راتب للعربي في المحل الجديد ٤ جنيهات وعمل فيه لمدة ١٥ عاما، ارتفع خلالها راتبه إلى ٢٧ جنيها، وكان حين ذاك مبلغا كبيرا، حيث تمكن من خلاله من دفع تكاليف الزواج

وشهدت تلك الفترة مفارقة هامة في حياته عندما انشغل في التجارة ولم يتقدم لمركز التجنيد التابع له في الموعد المحدد، ما اعتبر هروبا من أداء الخدمة، وحاول أن يتفادى ذلك بالتقدم بنفسه طواعية إلى قسم شرطة الجمالية في القاهرة ظنا منه أن ذلك سيعفيه من المخالفة، لكن مسؤولي القسم تعاملوا معه باعتباره متهربا من التجنيد، وتم تجنيده عام ١٩٥٤ ليقضي في الخدمة العسكرية ٣ سنوات، لكنه يقول "رب ضارة نافعة" فقد كانت هذه السنوات الثلاث فاتحة خير عليه، حيث تعلم من الخدمة العسكرية الصبر والكفاح والتفاني وحب الوطن، وعايش حرب ١٩٥٦، ورأى قصص كفاح الشعب المصري ضد العدوان الثلاثي، وبعد أن أنهى خدمته في الجيش عاد ليعمل بنفس المحل.

طموح مبكر

ولأن الرجل صاحب هدف وطموح كبير، فقد كان دائما ما يجتهد ويدعو الله أن يكون صاحب تجارة خاصة به، لكن لم يكن لديه ما يبدأ به، حتى تحققت بغيته عام ١٩٦٢ من خلال شراكته مع زميل له بنفس العمل، ومع شريك ثالث ثري، على أن تكون مساهمته هو وصاحبه بمجهودهما، بينما يساهم الطرف الثاني بأمواله، وكان

رأس مال المشروع ٥ آلاف جنيه، وهكذا أصبح لديه أول محل بمنطقة "الموسكي" بالقاهرة، وما زال محتفظا به حتى الآن، حيث دفع فيه خلو "مقدم" ألفي جنيه وجهز المحل ب٥٠٠جنيه ووضع1500 جنيه في الخزنة، وذهب إلى الرجل الثاني الذي كان يعمل معه، فأعطاه ما يكفيه من بضاعة دون أن يدفع أية مبالغ نقدية.

سار العربي على خطى صاحب المحل الأول الذي بدأ حياته العملية فيه، وهي أن يكسب قليلا ويبيع كثيرا، وبعد أن بدأ العمل الجديد بثلاثة أيام فقط مرض صاحبه وشريكه لمدة عامين، فكان يدير المحل بمفرده ثم أتى بعامل ليساعده في التجارة التي نمت بسرعة كبيرة حتى ارتفعت مبيعاته اليومية في عام ١٩٦٤ إلى ١٢٠٠ جنيه، وهو مبلغ يفوق مبيعات ١٠ محلات مجتمعة.

استمرت الشراكة عامين، ولكن تخللها خلاف حول إخراج الشريك الثالث المريض، وهو ما اعترض عليه العربي، وفي النهاية فضت الشركة، وكان المكسب ١٤ ألف جنيه له ولشريكه المريض، وبعد فض الشركة كان المحل من نصيب الشركاء الآخرين، واشتري هو وشريكه محلا آخر، وعاد الشركاء القدامى ليعرضوا عليه محلهم مرة أخرى، وبذلك أصبح يمتلك محلين بدلا من محل واحد ومعه أبناء شريكه المريض، ثم جاء بإخوته جميعا ليعملوا معه، بعد أن توسعت تجارته، ونجحت الشركة وحولها إلى شركة مساهمة.

الانطلاقة الحقيقية

وتأتي الانطلاقة الجديدة للعربي عندما قررت الحكومة في فترة الستينات صرف الدفاتر المدرسية للتلاميذ بالمجان، وهو ما يعني أن



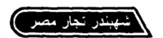
تجارته لم يعد لها وجود، وحينها قرر أن يعمل في تجارة الأجهزة الكهربائية، حيث تعرف على أحد اليابانيين الدارسين بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، وكان دائم التردد على محلاته، وكان هذا الشخص الياباني يعمل لدى شركة "توشيبا" اليابانية، فكتب تقريرا لشركته، أكد فيه أن العربي هو أصلح من يمثل "توشيبا" في مصر، فوافقت الشركة على منحه التوكيل، ولكن وبعد زيارته لمصانع الشركة باليابان سأل نفسه: ولماذا لا يكون في مصر مثل هذه المصانع؟ وبالفعل اتخذ قراره مع الشركة، ليبدأ بناء مصنعه الأول لإنتاج المراوح الكهربائية، وليشترط أن يكون المكون المحلي من الإنتاج ٤٠٪ رفعت لاحقا إلى ٦٠٪ ثم ٦٥٪ حتى وصلت إلى ٩٥٪، وتستمر رحلة النجاح وتتوسع تجارته وصناعته حتى وصلت حاليا إلى ٧ شركات تقوم بإنتاج معظم الأجهزة الكهربائية، ويزيد حجم استثماراتها عن ٢مليار جنيه، يعمل فيها ما يزيد عن ١٢ ألف موظف، وهو يطمح لأن يصل العدد إلى ٢٠ ألف بعد عامين، كما يطمح لأن يماثل نفس عدد العاملين بالشركة الأم في اليابان والتي يعمل بها ١٨٠ ألف موظف، ويتمنى أن يصل لهذا الرقم لمساعدة الشباب المصري على التخلص من البطالة بشكل جاد، فهو أيضا لا يبخس الموظفين حقوقهم أو رواتبهم، فالساعي مثلا يبلغ راتبه حوالي ٦٠٠ جنيه في الشهر، بينما أصحاب المؤهلات المتوسطة تصل مرتباتهم إلى ألف جنيه شهريًا، أما صاحب المؤهل العالي فيصل مرتبه إلى ١٥٠٠ جنيه شهريًا، وهي أرقام لا بأس بها للشباب عند بداية التعيين.

رجل المواقف المتميزة

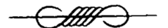
وإذا كان الحاج "محمود العربي" قد دخل مجال السياسة لفترة قصيرة من خلال ترشحه لعضوية مجلس الشعب، ورئاسته اتحاد الغرف التجارية، فقد أثبت خلال هذه الفترة عن معدنه الأصيل، فكان اتحاد الغرف هو المنظمة المصرية الوحيدة التي رفعت لواء المقاطعة التجارية ضد إسرائيل، بل إنه رفض استقبال رئيس اتحاد الغرف الإسرائيلية في مصر، كما كان حريصا على مصلحة المواطن والتاجر في آن واحد، فرفض خلال فترة ترأسه لمشروع قانون المرحلتين الثانية والثالثة من ضريبة المبيعات لأنه رأى فيه ضررا بالغا للجميع.

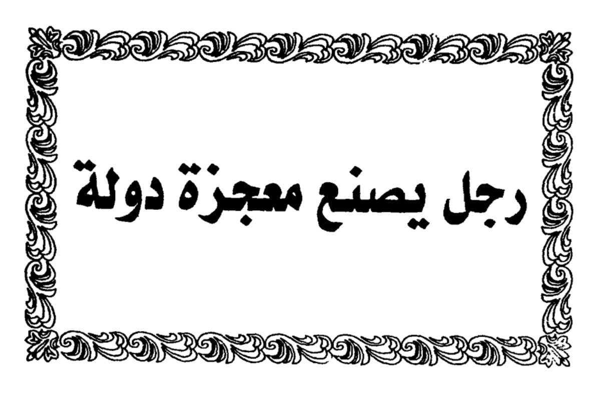
وإذا كانت حركة مواطنون ضد الغلاء قد منحت "العربي" لقب المواطن الايجابي، فان السبب ببساطة انه دائما ما كان ينحاز للمواطن البسيط، ولم يستغل نغمة الأسعار العالمية ليرفع من ثمن منتجاته، غير انه وببساطه وبدون نظريات اقتصاديه وبفطره شديدة قد لجأ لمضاعفة الإنتاج ليضيف المزيد من الربحية، وبذلك لا تتأثر أرباح الشركة، ولا يضيف عبئا على المستهلك.

ويحكى أحد قيادات شركاته انه حينما ارتفع سعر الدولار من ٣.٥ الى ٥ جنيه عام ٢٠٠٣، كانت لديه خامات بالمخازن بالأسعار القديمة للدولار، وقد رفض زيادة أسعار السلع كما فعل البعض من المنتجين إلا بعد استخدام آخر قطعه في المخازن بموجب الأسعار القديمة، وهذا المنهج لا ينتهجه غير تاجر أمين يرعى الله في تجارته، ليعطي نموذجا يحتذى للجميع، وليثبت أن المثابرة والإخلاص في العمل



هي الطريق للنجاح، ويقدم نموذجا للشباب في الكفاح والصبر لبلوغ الهدف، كما تؤكد سيرته إمكانية تحقيق معادلة الثراء مع مراعاة حق الله وحق المجتمع وحق الوطن.





رجل يصنع معجزة دولة



رجل يصنع معجزة دولة

منذ زيارتي الأخيرة لماليزيا وأنا لا أستطيع أن أخفى دهشتي وإعجابي من التقدم الواضح الذي وصلت إليه بلد كنا نسبقها كثيرا في جميع الجوانب الحضارية وكانت كوالالامبور كلمة تستخدم للسخرية و"التريقة".

ليس هذا موضع مقارنة لحالنا وحال ماليزيا و لست أهدف إلى لطم الخدود على أوضاعنا ولكنها محاولة للتعلم لعلنا نعتبر ذلك خط بداية يمكننا من الاستفادة من دروس تجربة بلد مثل ماليزيا كانت تعاني قبل ربع قرن فقط من التخلف الشديد بسبب ما كانت تشهده من صراعات بين أعراق البلد المختلفة، وسوء استغلال الموارد وتوزيع الثروات، وتدني الأوضاع المعيشية، بالإضافة إلى حالة التخلف الاقتصادي الواضحة فكان الناتج المحلي الإجمالي لها يعادل دول مثل هايتي وهندوراس، وأدنى من الناتج المحلي الإجمالي لمصر وغانا بحوالي ٥٪.

وكانت بداية الانطلاق لإحداث هذا التغيير السريع بعد تولي مهاتير محمد رئيس الوزراء السابق مقاليد الحكم في بداية الثمانينيات من القرن الماضي،حيث تجاوزت تجارتها مع العالم ٢٠٠ مليار دولار، وتضاعف دخل ماليزيا إلى ٨ أمثال الدخل في غانا، وأكثر من خمسة

أضعاف دخل هندوراس، وأكثر من ضعفي ونصف الدخل في مصر، حيث بدأت الحكومة الماليزية بقيادته تطبق سياسات للتنمية الشاملة تقوم فلسفتها على أساس أن النمو الاقتصادي يجب أن يقود إلى العدالة الاجتماعية والمساواة في الدخل، ومن خلال هذه الفلسفة استطاعت ماليزيا تقديم النموذج الأفضل عالميا لحل أصعب المعادلات من خلال تحقيق التنمية الشاملة ومحاربة الفقر، فأصبحت في مصاف الدول المتقدمة صناعيا واحتلت الترتيب الخامس عالميا من حيث قوة الاقتصاد المحلى وفقا لتقارير الأمم المتحدة، وتاسع دولة مصدرة للتقنيات العالية لتسبق دولا مثل إيطاليا والسويد، وفي نفس الوقت فقد استطاعت ماليزيا خلال الثلاثة عقود الأخيرة تخفيض معدل الفقر من ٥٢.٤٪ إلى 3.6٪، كما تم القضاء على الفقر المدقع نهائيا.

حياة مهاتير

ولد مهاتير محمد في ديسمبر عام ١٩٢٥م بولاية كيداه بماليزيا، وتلقى دراسته بكلية السلطان عبد الحميد، ثم درس الطب بكلية " المالاي " بسنغافورة والتي كانت تعرف بكلية الملك إدوارد السابع الطبية، وقام بدراسة الشؤون الدولية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٧م.

قام مهاتير بعد تخرجه بالعمل بالطب في عيادته الخاصة والتي كان يقوم بعلاج الفقراء بها مجاناً، كما عمل كضابط طبيب بسلاح الخدمات الطبية، عرف مهاتير باتجاهاته السياسية، فعرف بانتمائه لتنظيم اتحاد الملايو حيث تدرج فيه من عضو المجلس الأعلى لتنظيم اتحاد الملايو الوطني، ثم نائب رئيس له، ثم بعد ذلك رئيس له عام



١٩٨١، شغل عدد من المناصب منها: عين مندوب ماليزيا بالأمم المتحدة ١٩٦٣، عضو برلمان منتخب عن منطقة "كوتا سيتار"، عضو مجلس الشيوخ، عضو برلمان منتخب عن منطقة "كوبانج باسو"، رئيس مجلس التعليم العالي الأول ورئيس مجلس الجامعة الوطنية في السبعينات، ثم وزيراً للتربية والتعليم من عام ١٩٧٤ حتى ١٩٨١، نائب رئيس الوزراء ووزير التجارة والصناعة، رئيس الوزراء ووزير الشؤون الداخلية ١٩٨١ .

لتأتي اللحظة الفارقة في التاريخ الماليزي عندما تولى مهاتير محمد رئاسة الوزراء عام ١٩٨١م، حيث وصلت ماليزيا في عهده إلى ذروة مجدها وارتفع نصيب دخل الفرد فيها ارتفاعاً كبيراً، كما تم تقليص حجم البطالة فيها بشكل ملحوظ، استطاع من خلال منصبه أن يتجه بالبلاد نحو نهضة اقتصادية عالية حيث حقق نسب عالية جدا في معدل النمو الاقتصادي للبلاد.

اعتمد مهاتير في فكره للتقدم بالبلاد على ركائز أساسية ويعد أولها بل في مقدمتها الوحدة بين فئات الشعب حيث إن سكان ماليزيا ينقسموا إلى السكان الأصليين وهم المالايا ويمثلون أكثر من نصف سكان ماليزيا، وقسم آخر من الصينيين والهنود وأقليات أخرى، وأيضاً توجد الديانة الأساسية وهي الإسلام بالإضافة للديانات الأخرى مثل البوذية والهندوسية "ولقد نص الدستور الماليزي على أن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام مع ضمان الحقوق الدينية للأقليات الدينية الأخرى"، لذلك لزم التوحد بين جميع الأطراف لتسير البلاد كلها من أجل الاتجاه نحو هدف واحد والعمل وفق منظومة تتكاتف فيها جميع الفئات، والركيزة الثانية في خطة التنمية تمثلت في البحث عن دولة مناسبة تقوم

بعملية الدعم لماليزيا في تجربتها نحو التقدم والتنمية وكانت هذه الدولة هي اليابان التي أصبحت من أكبر حلفاء ماليزيا في مشروعها نحو التنمية والتقدم، وثالثاً العمل على جذب الاستثمار نحو ماليزيا وتوجيه الأنظار إليها، كما قام مهاتير بإدخال التكنولوجيا الحديثة والتدريب عليها حتى يتم الانتقال بالبلاد سريعاً إلى مرحلة أخرى أكثر تقدماً وأيضاً لتحقيق إمكانيات التواصل مع العالم الخارجي.

الفكر التنموي لمهاتير

تبنى مهاتير محمد المنهج التنموي ودفع بالمالايا نحو النهضة التنموية من خلال توفير مستويات عالية من التعليم والتكنولوجيا لهم، كما دفع بهم لتعلم اللغة الإنجليزية، وقام بإرسال البعثات التعليمية للخارج وتواصل مع الجامعات الأجنبية، حاول بكل جهده في إطار سياسته الاقتصادية بتجهيز المواطن الماليزي بكافة الوسائل العلمية والتكنولوجية لكي يستطيع الانفتاح والتواصل مع العالم الخارجي والتعرف على الثقافات المختلفة، ثم بعد ذلك الدفع به إلى سوق العمل من أجل زيادة الإنتاج وخفض مستوى البطالة بين أفراد الشعب، حيث كان يهدف لتفعيل الجزء الأكبر من المجتمع الأمر الذي يعود على ارتفاع مستوى التنمية الاقتصادية للبلاد في نهاية الأمر، واستطاع أن يحول ماليزيا من دولة زراعية يعتمد اقتصادها على تصدير السلع الزراعية والمواد الأولية البسيطة مثل المطاط والقصدير وغيرها إلى دولة صناعية متقدمة، حيث شارك القطاع الصناعي والخدمي في اقتصادها بنسبة ٩٠ ٪، وأصبحت معظم السيارات التي توجد بها صناعة ماليزية خالصة، وزاد نصيب دخل الفرد زيادة ملحوظة فأصبحت واحدة من أنجح الدول

الصناعية في جنوب آسيا، كما أدى هذا التحول إلى تقوية المركز المالي للدولة ككل.

وأصبحت تجربة ماليزيا في النهضة الصناعية التي قامت بها تحت رعاية مهاتير محمد مثل تحتذي به الدول، ومادة للدراسة من قبل الاقتصاديين.

وقد تعرض الزعيم الماليزي مهاتير محمد للعديد من الانتقادات على مدار حياته السياسية حيث وصفه البعض بالديكتاتور ولكن جاء قرار استقالته وهو في قمة مجده لينسف هذا المعتقد حيث لم يستأثر بالحكم على الرغم من النجاح الساحق الذي حققه أثناء حكمه للبلاد، وظل مثيراً للجدل من قبل الغرب نظراً لتصريحاته اللاذعة الشديدة اللهجة دائماً.

وكانت أكثر هذه التصريحات جرأة وإثارة لغضب الغرب تلك التي كانت في القمة الإسلامية التي عقدت في ماليزيا حيث انتقد اليهود بشدة في كلمته التي ألقاها حيث أشار لسيطرتهم على القرار الدولي وقيامهم بإشعال نيران الحرب ضد المسلمين.

تبدأ بالإرادة السياسية

وهى بيت القصيد في التجربة الماليزية فما كان يمكن أن تتحقق هذه النهضة إلا بوجود رغبة وإرادة سياسية واضحة تحكم القيادة ويكتسبها الشعب. فمن يذهب إلي ماليزيا سيتردد أمام بصره وسمعه كثيرا رقم ٢٠٢٠ وهو يرمز إلي الخطة التي أعدها مهاتير، والتي تقوم علي فكرة أن تصبح ماليزيا في العام ٢٠٢٠ دولة مكتملة البنيان

الصناعي، وهو ما تحقق معظمه، ويمكن تلخيص هذه الإرادة في جملة قالها مهاتير لعالمنا احمد زويل من أن الشيء الوحيد الذي قدمته لبلادي هو "أيها الماليزي ارفع رأسك ناظرا للمستقبل"

أداء القيادة السياسية

إذا كنت تريد أن تعرف لماذا ينجح حاكم ويفشل آخر فنصيحتي أنه يجب أن يكون واضحا جيدا في رأس أي حاكم وخصوصا في العالم الثالث الإسلامي ما الذي يريده من البقاء في السلطة، فدون أن يسأل الحاكم لماذا أنا هنا؟ بصفة دائمة فإن سوء الحكم وسوء الإدارة وحب البقاء في السلطة هو النتيجة التلقائية" هذه هي خلاصة رؤية مهاتير محمد الذي ترك السلطة بمحض إرادته، وهو كان قد بدأ الإصلاح – كأي إصلاحي حقيقي – من بيته، أي من حزب منظمة الملايو الوطنية المتحدة الذي يتزعمه، وطالب أعضاء حزبه بالنأي بأنفسهم عن الفساد، وقال إن استغلال الأموال في العمل السياسي وشراء الأصوات الانتخابية سيدمر الحزب، واعترف بأن الفساد أصبح جزءاً من الثقافة السياسية في ماليزيا، وناشد أعضاء الحزب مساعدته في القضاء عليه.

ونتج عن ذلك سياسة متميزة تهتم بمكافحة الفساد و بالموضوعية السياسية التي تعني أن الفشل في تنفيذ السياسات المعلنة يقابله اعتراف صريح بالخطأ والبحث عن بدائل للحل. فلم تكن المكابرة السياسية تخطر على بال صناع القرار حتى عندما يرتبط الفشل ببرنامج الحزب الحاكم.

لم يكتفو الذين أُسندت إليهم إدارة البلاد بتأييد الصفوة الاقتصادية ورجال الأعمال؛ بل عملوا على الحصول على التأييد الشعبي، وأكد هذا

المعنى رئيس الوزراء الحالي عبد الله بدوى عندما نبه حكومته إلى أنهم إذا لم يأخذوا في الاعتبار مصالح الشعب، فسيعاقبون في الانتخابات. وبذلك كان هناك تعاون وتأييد من الطبقات المتوسطة والفقيرة للمجتمع، وتكوّن لديهم شعور بالاستفادة الحقيقية من عملية النمو الاقتصادي، ونتج عن ذلك إحساس القادة بالأمان وسط الجماهير ويؤكد" مهاتير وبدوى "أنهم يستطيعون التجول في كوالالامبور من دون أية حماية لأن الجميع يشعرون أن الحكومة تعمل من اجل مصلحة الشعب.

الموقف من أمريكا وإسرائيل

إذا كان هناك من يظن أن التبعية الكاملة للموقف الأمريكي والإسرائيلي هي السبيل الوحيد للنجاح السياسي والاقتصادي فالتجربة في ماليزيا تثبت عكس ذلك تماما، فهي لا تقيم علاقات مع إسرائيل وهى وان كانت تحتفظ بعلاقات جيدة مع أمريكا التي تعتبر أكبر مستثمر في ماليزيا، إلا أن ذلك لم يمنعها من الاستقلالية الكاملة عن البيت الأبيض، فمهاتير محمد لا يكف عن نقد أمريكا وإسرائيل ويعتبر أن "اليهود يحكمون العالم اليوم بالوكالة (في إشارة إلى أمريكا بشكل رئيس) وأن اليهود معادون للمسلمين والإسلام، وعليه فيجب كبح جماحهم ويؤكد أننا "لن نستطيع قتالهم بالعضل وحده، علينا توظيف العقل أيضا". كما أن مواقف ماليزيا الاقتصادية في منتهى الجرأة فمهاتير يرى وجوب البدء في فك ارتباط عملات الدول العربية والإسلامية بالدولار والتوقف عن اعتماده عملة وحيدة لتسعير النفط، وهناك تجربة مثيرة بدأت في ماليزيا منذ منتصف عام ٢٠٠٢ باستخدام الدينار الذهبي الإسلامي في مجال تجارتها الخارجية مع بعض الدول بدلاً

من الدولار الأميركي، بهدف جعل الدينار عملة موحدة لتسوية التعاملات التجارية بين الدول الإسلامية، وهى تجربة حققت نجاحا ملموسا حيث يتم حاليا تداولها في العديد من دول العالم كما يتعامل بالدينار الالكتروني نحو ٦٠٠ ألف مستثمر، و نسبة المتعاملين تنمو بمعدل ١٠ في المائة شهريًا و يتضاعف العدد كل عام تقريبًا

التجربة الماليزية لمحاربة الفقر

تعتبر التجربة الماليزية في محاربة الفقر هي الأبرز على مستوى العالم حيث يتم تدريس هذه التجربة دوليا كنموذج للتحول من بلد فقير يتجاوز عدد الفقراء فيه النصف بقليل الى بلد لا تكاد تجد فيه فقيرا، وتتمثل أهم جوانب تجربة مكافحة الفقر في النقاط التالية:

- تقوم فلسفة التنمية في ماليزيا على فكرة أن "النمو الاقتصادي يقود إلى المساواة في الدخل"، وعليه فإن مكاسب التطور الاقتصادي يجب أن تنعكس إيجابياً على المواطنين في تحسين نوعية حياتهم بما يشمل توفير الضروريات من الغذاء والعلاج والتعليم والأمن، وأن يكون أول المستفيدين من هذا النمو الاقتصادي هم الفقراء والعاطلون عن العمل والمرضى والمجموعات العرقية الأكثر فقراً في المجتمع والأقاليم الأقل نمواً، ونتج عن ذلك تمتع ٩٨٪ من السكان بخدمات الصرف الصحي والمياه النقية والتعليم.
- قامت الحكومة بتطبيق العديد من الإستراتيجيات لتقليل الفقر، مثل زيادة امتلاك الفقراء للأراضي ورأس المال، ورفع مستويات تدريب العمالة، وتوفير مرافق البنية الأساسية في المناطق النائية بما

في ذلك مرافق النقل والاتصالات السلكية واللاسلكية والمدارس والخدمات الصحية والكهرباء، وقد استمر هدف مكافحة الفقر في الخطط القومية للتنمية ليتم إدراج ٥٤ مليار دولار في الخطة الخمسية الحالية تركز على التنمية البشرية وتقليل الفقر في المناطق الريفية، كما تم تعديل تعريف خط فقر الدخل عام ١٩٨٦ ليصبح حوالي ١٥٦ دولارا أمريكيا في الشهر، ويأخذ في حسبانه إلى جانب احتياجات الحياة الضرورية من الغذاء وغير الغذاء، ما يجب أن يحصل عليه الفقراء من الملكية العقارية وصافي التحويلات المالية، وذلك حتى يعكس المؤشر الأبعاد المتعددة لطبيعة الفقر.

- اللافت للنظر أيضا هو السياسة الضريبية في ماليزيا التي أخذت بعداً اجتماعياً يستفيد منه الفقراء؛ وذلك بتأكيد مبدأ التصاعدية في ضريبة الدخل، حيث يبلغ الحد الأدنى من الدخل الخاضع للضريبة حوالي ٦٥٨ دولار أمريكي في الشهر، وتؤخذ الضريبة بعد خصم أقساط التأمين الصحي، وعدد الأطفال، ونفقات تعليم المعوقين من الأطفال ومن يعول من الوالدين، ومساهمة صندوق التأمين الإجباري كما أن الدولة شجعت المواطنين المسلمين (أفرادا وشركات) على دفع الزكاة لصالح صندوق جمع الزكاة القومي الذي يدار بواسطة إدارة الشؤون الإسلامية في مقابل تخفيض نسبة ما يؤخذ من ضريبة الدخل

- جزء من نجاح البلاد في تقليص الفقر يرجع إلي قدرتها علي توفير عدد هائل من الوظائف الجديدة، فبينما تعاني أغلب بلدان العالم من البطالة كانت ماليزيا تستقدم العمالة من الخارج، وخلال

الخمسين عاماً الماضية منذ الاستقلال نجحت ماليزيا في خلق ٧،٢٤ مليون فرصة عمل لتنخفض نسبة البطالة إلى ٣٪، وهذا ساعد أيضا في ارتفاع الدخل العام للأسرة في ماليزيا عشرة أمثال ما كان عليه في بداية عهد "مهاتير" ليصل حاليا إلى ١٢٠٠ دولار شهريا.

- تم التعامل مع الاستثمارات الأجنبية المباشرة بحذر شديد حتى منتصف الثمانينيات، ثم سمحت الحكومة لها بالدخول ولكن ضمن شروط تصب بشكل أساسي في صالح الاقتصاد الوطني، فيجب ألا تنافس السلع التي ينتجها المستثمر الأجنبي الصناعات الوطنية التي تشبع حاجات السوق المحلية، كما يجب أن تصدر الشركة ٥٠ ٪ على الأقل من جملة ما تنتجه، أما الشركات الأجنبية التي يصل رأس مالها المدفوع نحو ٢ مليون دولار فيسمح لها باستقدام خمسة أجانب فقط لشغل بعض الوظائف في الشركة
- تتميز تجربة ماليزيا بأن الحكومة وجهت برامج محاربة الفقر لتقوية الوحدة الوطنية بين الأعراق المختلفة المكونة للشعب الماليزي، واستخدمت هذه البرامج كوسيلة سلمية لاقتسام ثمار النمو الاقتصادي، حيث كان التفاوت الكبير في الدخول، وعدم العدالة في توزيع الثروة سبباً في وقوع اشتباكات دامية بين الملايو (يشكلون الأغلبية ٥٥٪) والصينيين (يشكلون الأقلية ٢٥٪) عام ١٩٦٩، وبذلك ساهمت جهود تقليل الفقر بجدارة في تقليل التوترات العرقية وترسيخ الاستقرار السياسي والاجتماعي الذي صار عنواناً لنهضة ماليزيا وازدهارها الاقتصادي.فكان أحد أهم أسباب النجاح هو حسن إدارة وترشيد التنوع الثقافي، فالملايو

سكان الأغلبية ليسوا هم وحدهم الذين ساهموا في نهضة ماليزيا، ولكن الصينيين رغم شيوعيتهم والهنود رغم بوذيتهم، لعبوا الدور الكبير في نهضة ماليزيا وذلك لسببين: أولهما: لم تفرض ماليزيا دينا معينا على الغير وسمحت بحرية أديان قوي بعضها البعض الأخر في استلهام الحكمة . والثاني أنه لم يطغ جنس على جنس وكانت المواطنة هي أعلى صوتا من أي اعتبار أخر في رفعة شأن البلاد.

- وضعت الحكومة عدة برامج تنموية مثل برنامج أمانة اختيار ماليزيا وهو برنامج غير حكومي تنفذه مجموعة من المنظمات الأهلية الوطنية، ويهدف إلى تقليل الفقر المدقع عن طريق تقديم قروض بدون فوائد للفقراء، وتقدم الحكومة من جانبها قروضاً للبرنامج بدون فوائد من أجل تمويل مشروعاته للفقراء.

الاستقلال الاقتصادي

لا يمكن إغفال الحس الوطني الذي يحرك الاقتصاد الماليزي ولا يجعله تابعا لأي سياسة خارجية فقد خاضت ماليزيا تجربة متميزة في مواجهة أزمة جنوب شرق آسيا الشهيرة التي شهدها العام ١٩٩٧م، حيث لم تعبأ بتحذيرات الصندوق والبنك الدوليين وأخذت تعالج أزمتها من خلال أجندة وطنية فرضت من خلالها قيوداً صارمة على سياستها النقدية، معطية البنك المركزي صلاحيات واسعة لتنفيذ ما يراه لصالح مواجهة هروب النقد الأجنبي إلى الخارج، وأصبحت عصا التهميش التي يرفعها الصندوق والبنك الدوليين في وجه من يريد أن يخرج عن الدوائر

المرسومة بلا فاعلية في مواجهة ماليزيا التي خرجت من كبوتها المالية أكثر قوة خلال عامين فقط.

كما تفردت ماليزيا ببعض التطبيقات الإسلامية في المجال الاقتصادي مثل وجود شركات للتأمين وبنوك تعمل وفق المنهج الإسلامي وأيضاً وجود جامعة إسلامية متطورة في ماليزيا تتفاعل مع متطلبات العصر وتخدم قضايا التنمية. كما أن ماليزيا تفردت أيضاً بوجود صندوق الحج القائم على توفير مدخرات الأفراد المشاركين فيه في أعمار مبكرة لكي يؤدي هؤلاء الأفراد الحج عند بلوغهم سناً معينة.

رؤية ٢٠٢٠

في عام ١٩٩١ أطلق مهاتير محمد مبادرة يهدف من خلالها أن يكون مواليد ماليزيا اليوم هم الجيل الأخير الذي يعيش في دولة تُصنف كدولة نامية لأن الهدف الأكبر هو أن تصبح ماليزيا دولة متقدمة كلية بحلول عام ٢٠٢٠.، والجميل أن معنى دولة متقدمة كليا تم توضيحه وتوصيفه فهو يتساءل هل نريد أن نكون مثل دولة معينة من الدول التسعة عشرة المتقدمة ؟ هل نريد أن نصبح مثل المملكة المتحدة أو كندا أو هولندا أو السويد أو فنلندا أو اليابان ؟ وبالطبع فإن كل دولة من الدول الـ١٩ من إجمالي المجتمع الدولي الذي يبلغ أكثر من ١٦٠ دولة لها قوتها الخاصة ولكل منها أيضاً نقاط ضعفه، وبالتالي فلا يجب أن تصبح ماليزيا متقدمة فقط من الناحية الاقتصادية بل أن يشمل التقدم كافة النواحي الأخرى الاجتماعية والثقافية والنفسية والروحية، فيجب أن تكون متقدمة من ناحية الوحدة الوطنية والعدل الاجتماعي والترابط

الاجتماعي والاستقرار السياسي ونظام الحكومة ومستوى المعيشة والقيم الاجتماعية والثقة والفخر الوطني.

كيف يرى مهاتير التحديات التسعة لماليزيا سنة ٢٠٢٠؟

بحلول عام ٢٠٢٠ تستطيع ماليزيا أن تكون دولة متحدة لديها مجتمع يتمتع بالثقة ويدعم القيم الأخلاقية ويعيش في مجتمع ديمقراطي ليبرالي متسامح ينعم بالرخاء الاقتصادي والعدل والمساواة والتقدم، ولدى بلدي القدرة على المنافسة الاقتصادية والصمود والانتعاش الاقتصادي.

لن تصبح ماليزيا متقدمة كليا إلا إذا تغلبنا على التحديات الإستراتيجية التسعة التي تواجهنا منذ لحظة ميلادنا كدولة مستقلة وهي:

- تأسيس دولة ماليزية متحدة ذات مصير مشترك وهي دولة تنعم بالسلام الداخلي والسلام في حدودها وتعيش في توافق وشراكة عادلة متكاملة تضم الطائفة العرقية الماليزية مع الولاء السياسي والإخلاص لماليزيا.
- إيجاد مجتمع ماليزي متقدم وليبرالي من الناحية النفسية، مجتمع لديه الثقة بالنفس والفخر الذي له مبرراته، وكذلك المجتمع يجب أن يكون مميزاً تحترمه شعوب الدول الأخرى
- تطوير مجتمع ديمقراطي ناضج يُعد نموذجاً للعديد من الدول النامية.
- تأسيس مجتمع أخلاقي لديه قيم دينية وروحية قوية.
- تأسيس مجتمع ليبرالي متسامح ينعم فيه كافة الماليزيين على اختلاف ألوانهم وعقائدهم بحرية ممارسة عاداتهم وثقافاتهم

ومعتقداتهم الدينية ، وعلى الرغم من كل ذلك ينتمون جميعاً إلى دولة واحدة.

- تأسيس مجتمع علمي قدمي يدعم الإبداع لا يقتصر دوره فقط على استهلاك التكنولوجيا بل المساهمة في مستقبل التكنولوجيا العلمية.
- تأسيس مجتمع يهتم بالثقافات المتعددة تأتي فيه المصالح الجماعية قبل الفردية.
- تأسيس مجتمع ينعم بالعدالة الاقتصادية فيه مساواة في توزيع الثروات وشراكة كاملة في التقدم الاقتصادي.
- تأسيس مجتمع ينعم بالرخاء حيث يكون الاقتصاد منتعشاً حيوياً صامداً وله القدرة على المنافسة.

التنمية الشاملة بالمفهوم المهاتيري

يرى مهاتير أن التنمية الشاملة تجاه تأسيس مجتمع متقدم لا تقتصر فقط على التقدم الاقتصادي، ولا يجب أن تصبح التنمية الاقتصادية الغاية القصوى لمساعينا الوطنية، مع الأخذ بعين الاعتبار هدفين حيويين:

الهدف الأول: إن الخطة الاقتصادية الجديدة تقوم على اقتلاع جذور الفقر بغض النظر عن الانتماء العرقي أو الموقع الجغرافي، وهي تشمل كل الماليزيين سواء في المدن أو القرى أو في الجنوب أو الشمال أو الشرق أو الغرب يجب أن تكون الدولة قادرة على توفير الغذاء والرعاية الصحية فماليزيا المتقدمة يجب أن تكون لديها طبقة متوسطة تميز بالحيوية ويجب أن توفر كافة الفرص للذين ينبعون في القاع الثالث أو يحاولون الخروج من براثن الفقر

الهدف الثاني: إزالة ارتباط الهوية العرقية بالاقتصاد حيث الهدف بناء مجتمع يقوم على المساواة بما يعني أن كافة الإدارات والقطاعات الهامة سوف تشهد مزيجاً من الجماعات العرقية التي تتكون منها ماليزيا، ويجب أن يكون هناك توازن عادل في كافة الشرائح الأساسية لعمل، والعمل على تطوير تنمية المجتمع التجاري والصناعي

- ماليزيا المتقدمة لا يجب أن تكون مجتمعاً يتم فيه ربط التخلف الاقتصادي بطائفة عرقية محددة ولا ينطبق ذلك على المساواة في دخل الفرد والقول بأن جميع الماليزيين لهم دخل واحد، وذلك من المستحيل نظراً لاختلاف الجهود الفردية والتنشئة الفردية والأفضليات الفردية فالمساواة في دخل الفرد كما دعت الاشتراكية والشيوعية ليست فقط مستحيلة بل غير مرغوبة لأنها صياغة إلى كارثة.

- ويعتقد مهاتير بإمكانية تضييق الفجوة بين دخل الطوائف العرقية من خلال توفير الفرص والخدمات الاجتماعية والبنية الأساسية وتنمية المفاهيم الثقافية الاقتصادية، ويرى أنه يجب أن نتطلع مع حلول عام ٢٠٢٠ إلى ألا يتم اتهام طائفة عرقية معينة بالتخلف الاقتصادي وذلك هو الموقف الذي يجب أن يتم تحقيقه بفاعلية وكفاءة وعدالة. كما أن الشراكة الكاملة في التقدم الاقتصادي لا تعني الشراكة الكاملة في الفقر بل التوازن العادل في مساهمة كافة الطوائف العرقية بما في ذلك السكان



الأصليين، مع التوزيع العادل للإدارة والملكية في الاقتصاد الحديث.

- كما تقوم فلسفته من أجل تحقيق مجتمع عادل من الناحية الاقتصادية بتصعيد برامج تنمية الموارد البشرية من أجل تحقيق الصمود الاقتصادي والقدرة الكاملة على المنافسة لمجتمع السكان الأصليين ليصلوا إلى كفاءة السكان الغير أصليين، وتحتاج إلى ثورة فكرية وتحول ثقافي، ومن أجل تصحيح اختلال التوازن الاقتصادي يجب أن يتم التأكيد الكامل على النتائج الإنتاجية بأقل تكلفة اقتصادية.

- ومن أجل تأسيس مجتمع ينعم بالرخاء نستطيع وضع عدة طموحات وأهداف واقعية تضاعف إجمالي الناتج المحلي كل عشر سنوات من عام ١٩٩٠ إلى عام ٢٠٢٠، وإذا نجحنا في ذلك فإن إجمالي الناتج المحلي في عام ٢٠٢٠ يجب أن نساوي نظيره في عام ٢٠٢٠ بمعدل ثمانية أضعاف حيث بلغ إجمالي الناتج المحلي عام ١٩٩٠ (١١٥ بليون دولار) لذا يجب أن تصل قيمته عام ٢٠٢٠ إلى ٩٢٠ بليون دولار.

- إن النمو السريع يتطلب أن يكون متوسط معدل النمو سنوياً ٧٪ على مدار ٣٠ عاماً، ولنعترف أن ذلك معدل طموح ولكننا يجب أن تكون طموحاتنا ونظرتنا مرتفعة إذا أردنا أن نحفز أنفسنا للعمل الجاد.

- ويجب ألا ننسى مع تثبت معدل النمو التزامنا اتجاه الاستقرار وخفض معدل التضخم وضمن الفعالية ودعم مستوى المعيشة وتحقيق الأهداف الاجتماعية الأخرى، وبالرغم من أنها مهمة صعبة إلا أنني أعتقد بإمكانية تحقيقها.

- خلال الستينات بلغ معدل النمو ٥,١٪، وخلال السبعينات في العقد الأول من تنفيذ السياسة الاقتصادية الجديدة بلغ معدل النمو ٧,٨٪، وخلال الثمانينات بلغ معدل النمو ٥,٩٪ نظراً للأزمة الاقتصادية .

- وخلال الثلاثين عاماً الماضية ارتفع إجمالي الناتج المحلي بمعدل ٦,٣٪، وخلال العشرين عاماً الماضية بلغ معدل النمو سنوياً ٦,٩٪، وما نحتاجه هو فارق ٠,١، صفر٪ للنمو، لذا إذا تكاتفت الجهود فإن ذلك الفارق يمكن تحقيقه إن شاء الله.

- وإذا نجحنا في نمو السكان سنوياً بمعدل ٢,٥٪، فإنه مع عام ٢٠٢٠ سوف يكون الماليزيين أكثر ثراء عن عام ١٩٩٠بمعدل أربعة أضعاف، وذلك ما نريد تحقيقه في مجتمع الرخاء.

- إننا نسعى لتأسيس اقتصاد قادر على المنافسة ويكون قادراً على أن يدعم نفسه ذاتياً على المدى الطويل الأجل وأن يكون حيوياً ومنعشاً وقادراً على الصمود في مواجهات الأزمات بما يعني أشياء أخرى وهي كالتالي:

  - اقتصاد متنوع متوازن لديه قطاع صناعي ناضج وقطاع زراعي حديث وقطاع خدمات فعال ومنتج.

- اقتصاد راسخ قادر على التكيف السريع مع أنماط العرض والطلب والمنافسة.
- اقتصاد ذو كفاءة تكنولوجية قادر على الإبداع والاستثمار يسير بخطى ثابتة في الاعتماد المتزايد على التكنولوجيا المتقدمة.
- اقتصاد ذو روابط صناعية قوية مترابطة.
- اقتصاد تحكمه القوى العقلية والمهارات والاجتهاد والمعرفة.
- اقتصاد ذو كفاءة إنتاجية متصاعدة لكل عوامل الإنتاج.
- اقتصاد استثماري ذاتي الاعتماد ذو نظرة استثمارية.
- اقتصاد مدعوم بنماذج العمل الأخلاقي والضمير والسعي للتميز.
- اقتصاد يتميز بانخفاض التضخم وخفض تكلفة المعيشة.
- اقتصاد يخضع للنظام الكامل وقوى السوق.

- ويؤكد مهاتير أن الكثيرين ممن قاموا بإعداد هذه الخطة لن يكونوا موجودين في صباح الأول من يناير ٢٠٢٠، إن القاسم الكبر من العمل لتحقيق هدف ماليزيا المتقدمة سوف يقوم به الجيل التالي لنا من أبنائنا وأحفادنا، لذا يجب أن نضمن أننا

قمنا بواجبنا في إرشادهم وتوجيههم لتحقيق الهدف، وأن نرسي القواعد التي يجب أن يبنوا على أساسها.

رؤية متميزة لدور القطاع العام في المستقبل

كانت الرؤية الأساسية منذ مطلع الثمانينات على أن ماليزيا سوف تعتمد على القطاع الخاص كمحرك أول للنمو الاقتصادي، وبطريقة أو بأخرى فماليزيا قد تقدمت على سائر العالم حتى الدول المتقدمة في منح الثقة للقطاع الخاص لتحقيق النمو الاقتصادي، ولكن في السنوات الأول لم يستطع القطاع الخاص أن يستجيب كلية للتحديات، ثم جاءت سنوات الانتكاسة الاقتصادية، وخلال المستقبل سوف تستمر ماليزيا في الاعتماد على القطاع الخاص كمحرك أول للنمو، فتقوم الحكومة بالتخفيض من دورها في مجالا الإنتاج الاقتصادي ولكنها لن تستطيع أن تتراجع عن المجال الاقتصادي فلن تتخلى عن مسئولياتها في المراقبة ووضع أطر العمل القانونية من أجل التنمية الاجتماعية والاقتصادية السريعة.

كذلك فقد قامت الحكومة بدعم الإدارة المالية لكي تمهد الطريق أمام النمو الاقتصادي وتصعيد تطوير البنية الأساسية وتوفير المناخ التجاري المناسب بما يتوافق مع أولوياتها الأخرى، كما اهتمت بعملية خفض اللوائح، ومما لا شك فيه أن اللوائح تلعب دوراً أساسياً في كيفية حكم المجتمع الذي يعد الاقتصاد جزءاً منه، فالدولة بدون قوانين ولوائح سوف تسودها الفوضى، وبدون النظام لن تتحقق التنمية، ولكن المطلوب هو عدم المغالاة في وضع اللوائح

إن الحكمة تقوم على التمييز بين القوانين واللوائح المنتجة للأهداف الاجتماعية والقوانين واللوائح التي تفوق تلك الأهداف، وتتطلب الحكمة صواب الحكم في الشئون التجارية، لذا فإن الحكومة لم تتخل عن مسئولياتها لتلبية احتياجات المجتمع العريضة ومتطلبات النمو السريع والقدرة على المنافسة والانتعاش وصمود الاقتصاد، وفي هذا الشأن توجد مجالات واضحة من اللوائح الغير منتجة التي تم نبذها،

تعتبر الخصخصة أحد الركائز الأساسية في الإستراتيجية الفعالة للتنمية الوطنية، وتلك الإستراتيجية لا تقوم على اعتقاد إيديولوجي، بل تهدف بصفة خاصة إلى دعم المنافسة والفعالية وخفض العبء المالي عن كاهل الحكومة والإسراع بتحقيق الأهداف الصناعية الوطنية وفي تطبيق سياسة الخصخصة تدرك الحكومة تمام الإدراك الحاجة إلى حماية المصالح العامة وضمان حصول الفقراء على الخدمات الأساسية وضمان جودة الخدمات بأقل تكلفة وتجنب ممارسات الاحتكار الغير منتجة وضمان رفاهية العمل، وبالرغم من أن أي مساعي لا تخلو من بعض المشاكل إلا أنه من الواضح أن سياسة الخصخصة قد حققت نتائج إيجابية

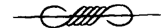
فلنبدأ بخطوة

هل الأمر مستحيل؟.. لا أعتقد، وأبرهن على ذلك بمقتطفات من كلام "مهاتير" عندما سئل عن توقعاته للنجاح فقال " لم أعلم كم سيستغرق من الوقت أنا فوجئت شخصيا بأن الأمر استغرق وقتا قصيرا كهذا ولكن الحقيقة تبقى سواء استغرقت وقتا طويلا أم قصيرا عليك



أن تبدأ وكما يقال خطوة الألف ميل.. رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة."

هذه بعض ملامح ومشاهدات التجربة في ماليزيا والتي صنعها شخص واحد توفرت لديه الإرادة الجادة لإحداث التغيير، نضعها بين يدي الجميع على أمل أن نستفيد منها للأفضل.







بـلا أرض

بلا أرض

هل يمكن أن نستنسخ هذه التجربة لننقلها إلى مصر ونشاهد حركة "مواطنون بلا أرض" جديدة تنظم نفسها، وتقوم بوضع يدها على الأرض الغير مستغلة، وإقامة مستعمرات وحياة متكاملة بها.

٤٪ فقط هي نسبة الأرض المستغلة للزراعة من إجمالي مساحة مصر، ذلك هو الحال الذي لم يتغير منذ ملايين السنين، بالرغم من الزيادة الكبيرة في عدد السكان، لتبقى النسبة الباقية مساحة صحراوية خاوية غير مزروعة أو مأهولة، إلا من بعض المحاولات التي تتم على استحياء ولم يكتب لها النجاح، نتيجة انعدام الرغبة الحكومية الجادة.

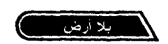
ولكن الوضع في البرازيل التي تتشابه مع مصر تماما في نسبة الأرض الغير مستغلة زراعيا كان مختلفا، فهذه البلاد شاسعة المساحة تنفرد بكون ٣٪ فقط من السكان يمتلكون قرابة ثلثي الأرض المزروعة، يقابل ذلك وجود نسبة فقر ليست بالقليلة في شرائح عديدة من المجتمع، ونسبة بطالة مرتفعة نسبيا، كان هذا هو حال البلاد حتى الثمانينات وتحديدا في العام ١٩٨٥، بعدما سئم الفقراء من المطالبة بأدنى حقوقهم الآدمية من الغذاء والتعليم والصحة والوظائف، فقرروا تنظيم أنفسهم من خلال حركة سميت "عمال بلا أرض"، تهدف إلى الاستحواذ

على الأراضي الغير مزروعة بشكل جماعي، ثم إقامة تجمعات عمرانية أو بمعنى أدق مستوطنات بالجهود الذاتية.

وبالفعل استطاعت الحركة الاستحواذ على أول قطعتي أرض في ولايتين مختلفتين، وهو ما دعا إلى أن يذيع صيتها، ويبدأ الكثيرين بالانضمام إليها، مما مثل ضغطا سياسيا على صناع القرار، واضطرت الحكومة إلى تعديل القوانين، لتسمح في العام ١٩٨٨باستغلال الأراضي الغير مستغلة وفق مجموعة من الشروط، ولكن تلك كانت البداية التي أدت بالكثيرين من الأسر الفقيرة والشباب للالتفاف حول الحركة والانضمام إليها، ليصل العدد حاليا إلى ما يزيد عن المليون ونصف عضو، وقرابة ٣٥٠ الف أسرة، أقامت ٢٠٠٠ مستعمرة لاستغلال الأراضي، في ٢٣ ولاية من ولايات البرازيل ال ٢٧ .

كانت للحركة ثلاثة أهداف محددة بوضوح منذ البداية، فهي تهدف إلى إعادة توزيع الأراضي الغير مستغلة لمن يستحقها ويعتني بها، كما تهدف إلى الضغط على الحكومة لإجبارها على دعم وتوصيل الخدمات إلى المناطق الجديدة، وأخيرا تهدف لتحقيق الأمن الغذائي لكافة أفراد الشعب وتحقيق الاكتفاء الذاتي زراعيا على المستوى الوطني.

ولتحقيق هذه الأهداف قامت الحركة بتنظيم العمل فيها من خلال مجموعة من القطاعات والأقسام، تتمثل في قطاع الإنتاج والتعاونيات، قطاع التعليم والتدريب، قطاع الصحة، وقطاع الإعلام والسياسة. ولكل منها خطة عمل وأهداف تسعى لتحقيقها، وهذا الشكل التنظيمي الجيد ساهم في تحقيق العديد من الانجازات



للحركة، فاستطاعت في هذه الفترة أن تقوم بتأسيس ٦٢ مجمع تعاوني تحقق دخل سنوي يتجاوز ٦٠ مليون دولار، بالإضافة إلى ثلاثة بنوك شعبية للإقراض، و٩٦ مصنع أغذية للاستفادة من المحاصيل التي يتم إنتاجها بواسطة المستعمرات.

كما حاولت الحركة أن تحقق اكتفاء ذاتيا في كافة القطاعات الخدمية الأخرى، فأقامت ١٠٠٠ مدرسة للمرحلة الأولى من التعليم، بالإضافة إلى ١٠٠ مدرسة للمرحلة الثانوية يدرس فيها ما يزيد على ٢٥ ألف طالب، كذلك فقد كان الاهتمام كبيرا بالتدريب الفني، ولا سيما في المجال الزراعي، وأنشئت الكثير من المراكز التدريبية المتخصصة في العديد من المجالات، وهي التجربة التي دعت منظمة اليونسكو للاحتفاء بها على المستوى الإقليمي.

تتميز التجربة أيضا باهتمامها بالجانب الاجتماعي للأعضاء، فالجميع يشعر بروح الأسرة ويشارك كل فرد ب٢٪ من حصيلة دخله لدعم الحركة، كذلك فقد كان شعار العدالة الاجتماعية والمساواة بين الجنسين من أهم المبادئ التي يتم تطبيقها، لدرجة أن أيا من أنشطة الحركة لابد أن تحتوي نسب متساوية من الرجال والنساء لاستمرارها، بالإضافة إلى الاهتمام بالجانب الإعلامي، من خلال إنشاء محطة إذاعية خاصة بالحركة، وجريدة يومية ومجلة شهرية.

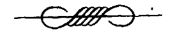
بالطبع لم يكن الطريق لتحقيق كل ذلك مفروشا بالورود، فالكثير من المواجهات دائما ما تحدث مع الجهات الأمنية حينما ترفض وجود أعضاء الحركة في منطقة ما، وهذه المواجهات دفع ثمنها أكثر من ١٠٠٠ شخص، لقوا حتفهم خلال العشرة أعوام الأخيرة، ولتجنب

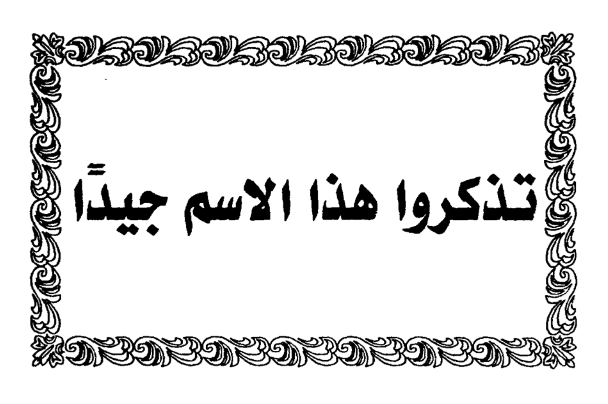


هذه المواجهات مع فرض الأمر الواقع، تعمد الحركة الآن إلى السرية في اتخاذ القرار بشأن الأرض التي سيتم تعميرها، ويبقى تاريخ الاستيلاء على الأرض غير معروفا إلا لبضعة أشخاص من القيادات، فيما يتم إبلاغ المزارعين أو العمال المعنيين بالتوجه إلى الأرض قبل الحدث مباشرة.

هذه هي تجربة المجتمع المدني في البرازيل والتي استطاع من خلالها الفقراء والبسطاء فرض التغيير على الحكومات، وتوفير فرص الحياة الأفضل، من خلال العمل الجماعي، وممارسة الضغط السياسي الحقيقي، وتبدو ملامح التشابه بين الأوضاع في البرازيل ومصر حاضرة، من حيث الطبيعة الجغرافية، والأوضاع الاقتصادية، وكذلك إمكانية وضع اليد على الأرض، المستمدة في مصر من خلال قانون التصرف في الأراضي الصحراوية والذي يتيح حق تملك الأرض لمن يستصلحها، وهو القانون الذي يستفيد منه فقط وبكل أسف أصحاب النفوذ، بينما يبقى الفقراء في دائرة التهميش.

ويبقى في النهاية التساؤل مرة أخرى، هل يمكن أن نشاهد حركة "عمال بلا أرض" جديدة في مصر ينضم إليها من يبحث عن فرصة عمل حقيقية ويحلم بتعمير الصحراء؟




تذكروا هذا الاسم جيداً

تذكروا هذا الاسم جيدًا

رجل مثله يجب أن تسلط عليه الأضواء ليضيء مصابيح الأمل ويصنع القدوة للكثير من أجيال الشباب التي تحتاج إلى تلك النماذج باستمرار، فهو وان صار الآن من أصحاب المليارات.. وقد كان يمكنه أن يغرق في ملذات الدنيا ومنعطفاتها، إلا أنه اختار أن يوازن بين مصالحه التجارية وأعمال الخير، وبقي دوما يبحث عن التميز وينقب عن الأفكار الجديدة لصالح وطنه وأمته، ويعتبر ذلك بمثابة العقيدة التي يجب ألا تتوقف حتى اللحظة الأخيرة.

وإذا كانت أحداث الأزمة المالية العالمية الحالية قد أثبتت أن المصارف الإسلامية هي الأكثر صلابة والأقل تأثرا بتلك الأحداث، فان ذلك يدعونا لأن نتساءل من هو صاحب تلك الفكرة والمؤسس الأول للبنوك الإسلامية في العالم، التي وصل عددها حاليا إلى ٣٠٠ بنك تعمل في ٧٥ دولة وتدير ما يزيد على تريليون دولار أمريكي، ليس هذا فقط ولكن ذلك الرجل هو أيضا صاحب فكرة أول فندق "إسلامي"، وأول مسكن منتج للفقراء، وأول نظام تعليمي يختصر سنوات الدراسة ويؤهل لسوق العمل ..

انه الحاج "سعيد لوتاه" مؤسس بنك دبي الإسلامي، والذي أنشئ في العام ١٩٧٥ ليكون البنك الأول والأكبر من نوعه في العالم، حيث يصل إجمالي ما يديره البنك قرابة ال ١٧ مليار دولار.

رؤية مختلفة وإبداع متجدد

ولكن هذا الرجل ذي الأربعة وثمانين ربيعا الذي ولد ونشأ في مدينة دبي، ولم تسعفه الظروف بأن ينال القسط الكافي من التعليم المدرسي الرسمي قد تعلم الكثير عبر مسيرة عمره المديد، وبدأ التحدي مبكرا وفي سن السابعة حينما أجاد القراءة والكتابة والحساب في مدة أربعة أشهر ونصف فقط، ليحفظ القران بعد ذلك، ويتعلم التجارة التي ورث مبادئها من أهله بفضل تجارة اللؤلؤ والتي علمته أيضا الاعتماد على النفس، ليقود أول سفينة إلى سواحل أفريقيا ولم يتعد عمره الثامنة عشرة، ثم يبدأ بعد ذلك في تجارته الخاصة التي توسعت وامتدت برغم الكثير من الصعاب والمشاق، والتي وازاها اهتمام دائم بالتفكير بأسلوب مختلف يبدأ بوقف التقليد الأعمى والبحث عن التجديد والابتكار.

ومن هنا كانت رؤيته مختلفة حينما قرر أن يستثمر في المجال التعليمي فلم يكن مجرد صاحب مجموعة مدارس خاصة تهدف إلى جمع المال، وإنما قرر أن يخوض معركة التغيير من خلال فلسفة مختلفة نابعة من رؤية إسلامية خالصة شرحها في كتابه "لماذا نتعلم"، مفادها أن الدين أمر بتحمل الصبي الذي بلغ ١٦ عاماً القصاص بشتى أنواعه، فكيف لا نحمله أسس مسؤولية الأسرة والعمل، ومن هنا أسس نظاماً تعليمياً يختصر سنوات الدراسة من ٢٢ إلى ١٦ سنة من خلال تغيير

المناهج، ليصبح خريجو هذا النظام التعليمي أطباء وصيادلة ومهندسين في سن السادسة عشرة، وهم يعملون دوما في أفضل المراكز المرموقة بجميع أنحاء العالم، وكان يرى أن بعض العلم الذي يناله الطلاب ما هو إلا حشو، وعند إجراء الدراسات المقارنة مع مدارس وجامعات العالم وجد أنه يمكن اختصار الكثير من الوقت بحيث يقضي خريج الطب أربع سنوات فقط في الكلية مع حصوله على نفس مضمون الجامعات البريطانية، ويحتوي السجل التعليمي "للوتاه" على سلسلة كبيرة من المدارس والمعاهد التقنية كما يضم كليتين للطب والصيدلة، ملحق بها مركز طبي تخصصي ومختبرات للأبحاث الطبية، بالإضافة إلى جامعة آل لوتاه العالمية بكلياتها الخمس.

المحطة التالية في إبداعات الحاج "سعيد لوتاه" تمثلت في إنشائه لما أصبح يعرف ب"الفنادق الإسلامية"، وهي تلك الفنادق التي ترفض تقديم الخمور وتحظر الملاهي الليلية وحمامات السباحة المختلطة، كما يوجد بها طوابق خاصة بالسيدات تقوم على خدمته موظفات متخصصات ومحتشمات، وبالفعل فقد كانت مجموعة فنادق الجوهرة بدبي انطلاقة لهذه الخدمة التي اتسعت حتى بلغت ٦ فنادق بدبي وحدها لتنتقل إلى القاهرة أيضا، حيث تقدم نفس مستوى الخدمة المعهود مع الالتزام بالمعايير الإسلامية، لكن اللافت في الفنادق الإسلامية التي بدأت في الانتشار أن غالبية مرتاديها من غير المسلمين أو العرب، مع وجود نسب إشغال عالية جدا، تقترب من الـ١٠٠٪ على مدار العام.

من مشاريع الحاج أيضاً "أكاديمية لوتاه" التي تحتوي على ٢٠ قاعة يمكن التدرب على مهارات كثيرة فيها: "من ميكانيكا

السيارات إلى الذرّة". ما يميز هذه الأكاديمية أنها مفتوحة ٢٤ ساعة وطلابها من مختلف الفئات العمرية، بمعنى أن أي موظف يمكنه في وقت فراغه حتى لو كان آخر الليل أن يتدرب فيها.

للنساء في تلك الأكاديمية قاعتان يمكنهن فيهما ممارسة أية مهارة يردنها. ويميز الأكاديمية أيضاً أن من أسسها يبلغ الآن الرابعة والثمانين (سن العجز الكامل في المنطقة العربية) كما أسس الحاج سعيد أيضاً قناة فضائية جديدة تعليمية دينية ترفيهية اسمها "التوازن" ستبدأ بثها التجريبي قريباً.

المساكن المنتجة حلم المستقبل

أما الفكرة الأكثر إبداعا والحلم الطموح الذي بدأه "لوتاه" و لا يزال يسعى لنشره في جميع أرجاء الوطن العربي فهو مشروع " المسكن المنتج"، وهو عبارة عن مشروع يهدف إلى النهوض بالواقع المعيشي للفقراء، ويتمثل في بناء قرية ذات وحدات سكنية تقع في مساحة كافية تسمح بالزراعة وإنشاء الحظائر، مع تزويدهم بكافة الإمكانيات لزراعة الأرض ومساعدتهم على الاعتماد على أنفسهم بدلا من تلقي المساعدات، ويشترط للحصول على المنزل أن تلتزم العائلة بالعمل في المزرعة وتوفير احتياجاتها الخاصة وتخرج الصدقات لتستفيد بها عائلات أخرى، كما تحتوي القرية على مدرسة ومركز طبي وعيادة بيطرية ومسجد ومجمع تجاري.

وقد تم تطبيق الفكرة بالفعل في السودان واليمن وجاري البدء فيها بمصر، بهدف تحقيق الاكتفاء الذاتي للأسرة من المنتجات الزراعية والحيوانية، والاعتماد على مصادر الطاقة الطبيعية من خلال

حصول الأسرة على الماء من الآبار الجوفية، وعلى الكهرباء من الطاقة الشمسية، كما يوفر المشروع دخلا إضافيا للأسرة عن طريق بيع الفائض من منتجاتهم الزراعية والحيوانية.

نموذج التعليم الطبي بشكل مختلف:

الهدف الأساسي من التعليم الطبي هو بلا شك تخريج طبيب إنسان له شمائل متميزة كالرحمة، وتقدير المسئولية، والإحسان في العمل، والبذل والعطاء الذي قد يصل إلى التضحية، وأن يكون له رصيد من المادة العلمية اللازمة، تكوّن قاعدة عريضة، ومعلومات عامة لكنها غير متعمقة، فتقوم فلسفة التعليم الطبي في جامعات لوتاه على أساس إعداد دارس له علم بمعلومات أساسية، قد تعود على إعمال عقله للاستفادة مما تعلم في أقصى الحدود، وأن يستطيع من خلال ما تعلم أن يحل ما يعرض له من مشاكل.

وبهذه المواهب سوف يستطيع أن يعامل المريض – الذي هو الهدف النهائي- المعاملة الصحيحة وأن يوجه التوجيه الرشيد. إن المطلوب من الطبيب الناشئ أن يريح مريضه، وأن يَفْهم مريضه، وأن يؤدي الفحص عليه أداءً صحيحًا، وأن يأخذ تاريخ المرض، ويتعرف على ظروف المريض الاجتماعية والنفسية (السيكولوجية) وأن يحسن تحليل النتائج التي حصل عليها، حتى يقدم التشخيص السليم، ويعطي العلاج الشافي، أو يطلب الفحوص اللازمة، أو يوجه المريض التوجيه الرشيد، للمن يستطيع أن يشخص ويعالج...الخ) وليس المطلوب أن يعرف كل جديد، وأن يشخص كل مرض، لكن المطلوب أن يكون على المستوى اللائق خلقًا

وذكاء وتفكيرًا وعملاً ونشاطًا وتوجيهًا، وألا يقصر في شيء من كل هذا.

ويمكن أن نلخص القصور في أسلوب تعليم الطب التقليدي القديم فيما يلي:

- ازدحام المقررات الدراسية بالمحاضرات التقليدية بما ينفع وما لا ينفع طالب الطب في هذه المرحلة التحضيرية. فاختيار المقرر المناسب للوقت والمرحلة التي يمر فيها الطالب والذي يتفق مع الغرض والهدف أساس لا يستقيم البنيان بدونه، وإن التطويل الممل والحشو الضار بالاستيعاب والهضم يعتبر إثمًا لا يغتفر لهذه التقاليد العتيدة.

- طول مدة الدراسة مما يسبب إعياء الطالب وفقده للحماس الذي أقبل به على هذا الفن الممتع الجميل، ويبدأ الطبيب الممارسة في سن متقدمة بعد إتمام الدراسة، وقد ضعفت ظواهر حب الاستطلاع والرغبة في الجديد والاستكشاف، وإعمال العقل والتفكير في كل مفيد، والاستعداد الطيب لتحمل المسئولية، والبذل والعطاء بنشاط – وكلها سمات للشباب- بجانب ما يخسره المجتمع من سنين عمل وعطاء تفيده وتستجيب لمطالبه.

- استخدام أسلوب التلقين البغيض، وكأن الطالب وعاء لتجميع معلومات، وقد أفقده هذا الأسلوب القدرة على التفكير والثقة في نفسه وفي ذكائه وقدراته مما جعله يتراجع عن أي تساؤلات أو استكشافات، وكان كل همه هو استيفاء ما يتعلمه،

وتخزين ما يتلقاه من معلومات، ومما لابد أن يحفظه عن ظاهر قلب ليوم الامتحان.

- نظام الامتحانات وكثرتها التي أصبحت شبحًا مخيفًا وعبئًا ثقيلاً، تفرض على الطالب أن يفرغ فيها ما حفظ، ويريح جوفه بعد تفريغ ما أعياه.

- معظم الأساتذة وخصوصًا أساتذة العلوم الأساسية في سنين الدراسة التحضيرية كانوا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم أساتذة جامعيون، يقاسون باتساع علمهم وقدراتهم على الأبحاث العلمية والعلوم البحتة، ناسين أن علم الطب هو علم الإنسان، وأن الغاية هي التعامل مع إنسان مريض، وأنه لا يُعِد أستاذًا باحثًا، ولكنه يُجهز طبيبًا عاملاً، مما شكك الطالب فيما يدرس وفي أي علاقة له بالهدف الأساسي الذي يصبو إليه.

- ولقد سببت العلوم الأساسية ببُعدها عن الهدف نوعًا من التفكك، فأصبح لكل مادة قسم خاص بعيد كل البُعد عن الآخر وأصبح كل أستاذ في عالمه الخاص، قسم الكيمياء، قسم الفسيولوجيا، قسم التشريح... وهكذا أصبح الطالب في غموض وجهل بأي صلة تربط هذه العلوم بعضها ببعض أو تربطها بالهدف الأساسي من تعليم الطب.

- كان الغالب في تعليم أي مادة الناحية النظرية – المحاضرات وكتابة المذكرات بعيدًا عن أي مادة حية، أو تجربة عملية أو وسائل إيضاحية جذابة، أو معايشة مع الواقع الذي سيعيش فيه

الطالب مع مريضه... مما زاد في صعوبة هضم العلم وجعل الطالب في يأس يكاد أن يحطمه ويذهب به وبآماله.

- لم يتعود الطالب المسكين في يوم من أيام دراسته أن يُعمل فكره ويتذوق حلاوة حل مشكلة، أو الكشف عن حقيقة، أو حتى حرية إبداء رأي، حتى شعر أنه شيء مهمل ضعيف، بلا قدرات ولا قيمة أو شأن في دنياه التي يعيشها طوال مرحلة الدراسة.

- كان الأمر في الدول النامية أشد وطأة، فالأمراض أكثر انتشارًا، وتزايد السكان أكثر سرعة، والحاجة إلى الطبيب المعالج أكبر وأكثر إلحاحًا، والثورة العلمية وفتح باب التعليم وكثرة أعداد المتقدمين للجامعة مع قصور في أي فرص متاحة من أساتذة ومعامل – كل ذلك أدَّى إلى تزاحم فوق المعقول في حجرات المحاضرات والمعامل والمشرح مما ينزل بمستوى أي تعليم متاح.

- في كل هذه المتاهات ضاعت أي فرصة لأي علاقة بين الطالب وأستاذه ولم تعد فكرة الأستاذ الرائد والأب المُوَجِّه والناصح حقيقة مستطاعه بأي حال.

- أخيرًا كما أشرنا من قبل بأن المناهج والأسلوب لم يتصفا بأي شيء من المرونة ولم يكن هناك أي استعداد للمناقشة فيهما بغية التعديل والإصلاح، وكأنما كان كتابًا سماويًا يخشى عليه من عبث الإنسان، كذلك لم يكن هناك أي متسع ولا

استعداد لإدخال أي جديد من العلوم المستحدثة، بل كانت المناهج بعيدة عن كل تقدم وجديد في العلم الذي كان يقفز قفزًا، ويشاهد كل يوم شيئًا جديدًا له قيمته في إعداد الطبيب.

كان لابد إذن من ثورة وتغيير في أسلوب التعليم وذلك من خلال:

- حسن اختيار الطلبة الجدد قبل قبولهم للدراسة، فلابد أن يكون الطالب على مستوى عالٍ من الذكاء، والاتجاه العام للمقبول هو تقدير شهادة الثانوية العامة، مع تقييم لشخصيته واستعداداته وصحته العامة ولياقته عمومًا عن طريق عمل مقابلة شخصية، وتقدير مدى تحمسه للدراسة الطبية.

- إعداد المكان والقاعات الصحية المطلوبة من حجرات دراسة وقاعة محاضرات ومعامل مجهزة ومشرحة والمكتبة والوسائل التعليمية والمستشفى التعليمي ومتحف باثولوجي وغرف فحص وتحضير المرضى وغرف الأشعة، لتكون مستعدة لاستيعاب عدد من الأطباء... الخ من التجهيزات.

- مراجعة المناهج للعلوم المختلفة وتبسيطها وتطويرها، وتجنب الحشو الذي لا يفيد طالب الطب، وإعداد المذكرات والكتب والمراجع اللازمة.

- الحد أو التقليل من سنوات الدراسة الأساسية قبل الحصول على الدرجة العلمية، وكذلك الامتحانات التحريرية والنظرية.

- إضافة بعض مواد أو علوم جديدة أو إضافة جديدة للعلوم الأساسية القديمة بما يمليه التقدم والنهضة العلمية الحديثة.

- ربط العلوم الأساسية المختلفة بعضها ببعض، ثم ربطها بالعلوم الإكلينيكية، وكسر الحواجز بين بعضها بعضًا، حتى تتكشف العلاقة بين التعليم وتحقيق الهدف المطلوب.
- العمل على تعويد الطالب على إعمال الفكر والتفهم والهضم، والاستنتاج والملاحظات الدقيقة، وإيجاد الحل لما يعرض من بعض مشكلات أو صعوبات سواء في التشخيص أو العلاج، وأن تتحقق له الشجاعة الكافية في إبداء الرأي والتساؤل عن كل غامض.
- الاستعانة بوسائل الإيضاح والشرائح والأشرطة والفيديو والنماذج الصناعية من البلاستيك وخلافه والرسومات والأطالس إلى غير ذلك مما يُسَهّل الفهم، ويساعد على تثبيت المعلومات.
- الإكثار من المناقشات في مجاميع صغيرة مما يساعد على تقييم مستمر للطالب ولتفهمه للغامض عليه، ولتكون وسيلة مراجعة مستمرة مما يفيد في تثبيت المعلومات.
- الحد من الامتحانات العرفية والتي لا تمت للأسلوب العلمي الصحيح في تقييم الطالب أو إفادته بل تكون عبئًا وتعطيلاً للتحصيل.
- اتخاذ ما نسميه ملازمة المرضى والمستشفى (Clinical attachment) وهو تعبير ينم عن أن الطالب أصبح ملازمًا لمستشفى وعن أن التحصيل أصبح عن طريق العمل الإكلينيكي والدراسة بجوار المريض، كما ينم عن أن المادة التعليمية أصبحت بعيدة عن الخيال النظري، وأصبحت حية على المريض نفسه في

مستشفى تعليمي ويعمل الطالب مع عدد صغير من ٢- ٤ من زملائه في وحدة خاصة في المستشفى مع الطبيب أو الأطباء المسئولين عن القسم ويشعر بأنه واحد منهم ومسئول معهم عن المريض، على أن يراجع عمله طبيب القسم الذي يتولى إرشاده إن لزم الأمر، وكذلك يحضر الطالب أيضًا مع الأستاذ الزيارات الخاصة على المرضى ويشترك بالمناقشات ويطرح ما يشاء من أسئلة...الخ.

- يقوم الطالب كذلك باستقبال المريض وفحصه وطلب الأبحاث والتحاليل اللازمة له وتشخيصه وعلاجه، كما يحضر الاجتماعات العلمية العامة بالمستشفى التي تعرض فيها الحالات الإكلينيكية، ونستعرض من كل الوجوه، ثم تناقش نتائج الفحوص والتشخيص في ضوء هذه النتائج، مما يكون له أثر عميق في نفس الطالب وقدراته على الاستنتاج والتشخيص، وكذلك يحضر المشرحة ويستمع لعرض نتائج تشريح جثث الوفيات من المرضى في ضوء المعلومات الإكلينيكية التي أخذت لهم في المستشفى، كل هذا يكسبه الكثير من التدريب العملي والكفاءات العالية وتعتبر هذه الدراسة الإكلينيكية على المرضى من خير مستحدثات التطوير في عالم التعليم الطبي، وقد أثبتت إلى حد كبير فائدتها، وانتشرت في الكليات الحديثة، وفي الكليات القديمة المتطورة على نطاق واسع، حيث يمضي الطالب سني التعليم الإكلينيكي في المستشفى كل الوقت، ولا يوجد في الكلية لتلقي المحاضرات سوى ساعتين أو ثلاث في الأسبوع، وانتشر تبعًا لذلك التعليم الذاتي أي (Self Learning)

الذي ثبت أنه أكثر نفعًا من التلقين عن طريق المحاضرات التقليدية.

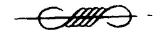
بعد هذا العرض السريع للوسائل المقترحة والتي يمارس الكثير منها في الكليات الحديثة والكليات المتطورة نرى من اللازم التعرض لمشكلة اختصار مدة الدراسة، حيث نجد أن كلية دبي الطبية في اختصارها لمدة الدراسة لأربع سنوات ما زالت متمشية مع التطور الحديث ومع ما حددته أولى الكليات المتطورة في إنجلترا (كلية طب نوتنجهام) وكذلك نجد أنها خصصت سنة تدريب بعد ذلك أسوة بالكلية المذكورة. وذلك على الرغم من اختصار فترة دراسة العلوم الأساسية في سنين الدراسة الأولى (ما قبل الإكلينيكي) عن طريق تعديل البرامج وتبسيطها وحذف غير الأساسي لطالب الطب في المرحلة الأولى من دراسته وغير ضروري في المراحل التعليمية القادمة، أو ما بعد إتمام الدراسة للطبيب الناشئ أو الطبيب العام،كما حرصت الكلية على دعوة أساتذة وممتحنين من الخارج من الكليات التي تسير على مناهج مشابهة أو مطابقة لها حتى تتيح للطالب فرصة التدريب بعد تأهيلها لدرجة البكالوريوس والجراحة في الخارج في هذه الكليات، وكذلك لتمكينها إن أرادت من إجراء الدراسات العليا التخصصية في هذه الكليات بعد إنجاز عام التدريب.

أحلام الأمس حقائق اليوم

التعليم المبتكر والمسكن المنتج ليس هو المشروع الوحيد الذي يحلم "سعيد لوتاه" بتحقيقه وتوسيع نطاق انتشاره بغية مساعدة ذوي الحاجات أو الدخل المحدود، فهو في كل هذه المشاريع الخيرية التي



يشرف عليها ويتابع أدق تفاصيلها؛ يريد أن يضرب المثل للشباب، ويثبت للجميع إمكانية تحقيق النجاح مع خدمة المجتمع وإسعاد الآخرين، كما يريد أن يقول إن المال وحده لا يصنع السعادة وإنما الأهم هو الرضا.. وإسعاد الآخرين




التحليق في الممر



التحليق في الممر

كانت أمنيته أن يكون طبيبًا جراحًا للمخ، ولكن آماله باءت بالفشل حينما لم يسمح له مجموعه في الثانوية العامة بالالتحاق بكلية الطب، فاضطر بروح أقل حماسة إلى الالتحاق بكلية العلوم جامعة عين شمس ليحصل منها على شهادة البكالوريوس، ويقوم بتدريس الجيولوجيا كمعيد بجامعة أسيوط، ولكنه استطاع الحصول على منحة لاستكمال دراسته بالولايات المتحدة حيث نال منها شهادة الماجستير في الجيولوجيا والدكتوراه في التكنولوجيا الاقتصادية، ليعود إلى مصر وكله أمل في أن ينال التقدير العلمي الذي يمكنه من مواصلة أبحاثه، ولكنه تفاجأ بأن عليه أن يعمل مدرسًا للكيمياء في المعهد العالي بالسويس، الأمر الذي اضطره إلى أن يتخذ قرار السفر سرا إلى أمريكا مرة أخرى.

وهناك بدأ رحلة جديدة وشاقة للبحث عن عمل. فنظرًا لوصوله بعد بدء العام الدراسي فان أياً من الجامعات الأمريكية لم تقبله؛ ولكن اليأس لم يتسرب إلى نفسه فاستمر في إرسال طلبات العمل إلى شركات جاوزت المائة، إلى أن قبلته وكالة "ناسا" لأبحاث الفضاء التي كانت تطلب جيولوجيين ليبدأ رحلته معها من خلال أحد المؤتمرات الجيولوجية التي تحدث فيها علماء القمر عن فوهاته وتضاريسه، والتي كانت

بالنسبة له طلاسم لم يستطع فهمها، وحينما سأل أحد الحاضرين عن كتاب يجمع هذه التضاريس، مثلت إجابته صدمة أخرى له حينما اعتبر أنه "لا حاجة إلى أي كتاب فنحن نعرف كل شيء عن القمر"، وهي الإجابة التي حرَّكته إلى مزيد من البحث والمعرفة، ليعكف على دراسة ٤٣٢٢ صورة وكتاب عن القمر طيلة ثلاثة أشهر كاملة، مكنته من التوصل إلى معلومات لما يقرب من ١٦ مكانًا يصلح للهبوط فوق القمر، وعندما حضر المؤتمر الثاني كان على المنصة يعرض ما توصل إليه من معلومات وسط تساؤل الحاضرين عن ماهية المحاضر، حتى إن العالِم الذي أكد له من قبل معرفة كل شيء عن القمر صافحه بحرارة واعترف له بأننا "قد اكتشفنا الآن أننا كنا لا نعرف شيئًا عن القمر".

ذلك هو الدكتور فاروق الباز.. العالم المصري الذي دخل التاريخ من أوسع أبوابه، حينما أوكلت له "ناسا" المهمة الرئيسية في أول رحلة لهبوط الإنسان على سطح القمر لاختيار مواقع الهبوط وتدريب طاقم روَّاد الفضاء على جمع وتصوير العيِّنات المطلوبة، وهناك ومن على سطح القمر وتقديرًا لأستاذه؛ بعث "نيل آرمسترونج" أول رائد فضاء برسالة إلى الأرض باللغة العربية، حيث كان يصطحب معه أيضا ورقة مكتوب عليها سورة الفاتحة ودعاء من" د.فاروق" تيمنًا منه بالنجاح والتوفيق.

الباز ورحلة كفاح

ولِد د. فاروق في الأول من يناير عام ١٩٣٨م من أسرة بسيطة الحال في قرية "طوخ الأقلام" من قرى "السنبلاوين" في محافظة الدقهلية، شجَّعه الوالدان على التدرج في مراحل التعليم المختلفة، حيث كانا يؤمنان دائمًا بقدراته ونبوغه.. كان والده أول من حصل على التعليم



الأزهري في قريته.. وكانت أمه رغم بساطتها عونًا له في اتخاذ قراراته المصيرية؛ حيث كانت تمتلك ذكاء فطريًا على حد وصف د. فاروق.

وبانطلاق أبوللو ونجاح مهمته سطع نجم د. فاروق الباز، بعد مشاركته فيه من عام ١٩٦٧م إلى ١٩٧٢م، وبدأ اسمه يأخذ مكانًا في الصحافة العلمية والتلفزيون الأمريكي، وبعد انتهاء مهمة أبوللو، شارك مع معهد Smithsonian بواشنطن في إقامة وإدارة مركز أبحاث الكون في المتحف الدولي للفضاء.

وفي عام ١٩٧٣م عمل كرئيس الملاحظة الكونية والتصوير في مشروعApollo- soyuz الذي قام بأول مهمة أمريكية سوفييتية في يوليو ١٩٧٥م. وفي عام ١٩٨٦م انضم إلى جامعة بوسطن، مركز الاستشعار عن بُعد باستخدام تكنولوجيا الفضاء في مجالات الجيولوجيا، الجغرافيا، وقد طوَّر نظام الاستشعار عن بُعْد في اكتشاف بعض الآثار المصرية.

وتستمر رحلة نجاح "الباز" ويحفر اسمه في سجلات المجد بحصوله على أكثر من ٣١ جائزة عالمية، تكريما لإنجازاته العلمية التي خدمت البشرية لدرجة إطلاق اسم الباز على مكوك الفضاء "Shuttle pod El-Baz"، وتنشئ الجمعية الجيولوجية الأمريكية جائزة عالمية رفيعة المستوى تحمل اسمه وتمنح لعلماء الجيولوجيا البارزين على مستوى العالم في مجال أبحاث الصحراء، كما تم انتخابه كعضو أو رئيس لما يقرب من ٤٠ من المعاهد والمجالس واللجان العلمية على مستوى العالم.

كتب د. الباز ١٢ كتابًا، منها أبوللو فوق القمر، الصحراء والأراضي الجافة، حرب الخليج والبيئة، أطلس لصور الأقمار الصناعية للكويت.. ويشارك في المجلس الاستشاري لعدة مجلات علمية عالمية، كما كتب مقالات عديدة، وتمت لقاءات كثيرة عن قصة حياته وصلت إلى الأربعين.. منها "النجوم المصرية في السماء"، "من الأهرام إلى القمر"، "الفتى الفلاح فوق القمر".. وغيرها. بلغ أوراق د. الباز العلمية المنشورة إلى ما يقرب من ٥٤٠ ورقة علمية، سواء قام بها وحيدًا أو بمشاركة آخرين.. ويشرف على العديد من رسائل الدكتوراة.

رحلة مع الصحراء

وجَّه د. الباز بعد ذلك إلى دراسة الصحراء.. وخلال ٢٥ عامًا قضاها في هذا المجال حتى الآن، اهتم بتصوير المناطق الجافة خاصة في صحراء شمال أفريقيا، وجمع معلوماته من خلال زياراته لكل الصحراء الأساسية حول العالم.. كان أكثرها تميزًا زيارته للصحراء الشمالية الغربية في الصين، بعد تطبيع العلاقات مع أمريكا عام ١٩٧٩م.. وبسبب أبحاثه انتخب زميلاً للمعهد الأمريكي لتقدم العلوم AAAS.

كان مما يميز د. الباز استخدامه التقنيات الحديثة في دراسة الصحراء؛ حيث استخدمها أولاً في الصحراء الغربية بمصر، ثم صحراء الكويت، قطر، الإمارات، وغيرها.

وقد فنَّدت أبحاثه المعلومات السابقة أن الصحراء كانت من نتائج فعل الإنسان، وأثبت أنها تطور طبيعي للتغيرات المناخية للأرض.

اختاره الرئيس المصري أنور السادات مستشارًا علميًا لحكومته عام ١٩٧٨م –١٩٨١م، وكلفه بمهمة اختيار أماكن صحراوية تصلح لإقامة مشروعات عمرانية جديدة، وقد شرح بطريقة علمية دقيقة كيفية الاستفادة من الموارد الطبيعية لبلده مصر كما دعا إلى أهمية دراسة المياه الجوفية والتي يهدر منها الكثير في البحار والمحيطات دون استخدام، وطبَّق التكنولوجيا الفضائية لدراستها ودراسة مسارات البحيرات الناضبة.

نادى - وما زال ينادي - "بقمر خاص متخصص للصحراء"؛ لأن كل الصور الفضائية المعمول بها إنما تكون لدراسة الغطاء النباتي، ولكوننا أولى الناس بدراسة أراضينا الصحراوية من الغرب الذي لا يمتلك شيئًا منها، وقد عمل على إنشاء مراكز تدرس التصوير الفضائي والاستشعار عن بُعد في كل من قطر، مصر، السعودية، الإمارات.

انتماء وحب للوطن لا يتغير

وبالرغم من كل هذا النجاح، إلا أن "الدكتور فاروق" لا زال يحتفظ بانتمائه وحسه الوطني، وكانت عيونه دوما تتجه إلى مصر والعالم العربي، ويتألم كثيرا حينما يرى أن الحكومات العربية في ذيل البلاد النامية، ويرجع ذلك إلى عدم تقدير العلم في بلادنا العربية، وعدم إفساح المجال للإبداع الإنساني. ويقول: إن الدول المتقدمة تنفق ما لا يقل عن ٢٪ من دخلها القومي على البحث العلمي، ونحن ننفق أقل من ½٪، وننفق ٩٨٪ من هذه الأموال على المرتبات والإداريات، وهو يتعجب من الدول العربية التي لا تعلم إلى أي مدى قد يفيدها العلم في كل النواحي والمجالات الأخرى.



جال د. فاروق العالم شرقًا وغربًا، وحاضر في العديد من المراكز البحثية والجامعات.. أحبَّ الرحلات الكشفية، وجمع العيِّنات الصخرية منذ الصغر.. وهو يجيد العربية والإنجليزية بطلاقة، كما يتحدث بعضًا من الألمانية والفرنسية والأسبانية.. يتَّهمه البعض بأنه شديد الثقة بنفسه، ولكنه دائمًا يقول: "المعرفة تولِّد الثقة، أنا لا أقول شيئًا إلا بعد دراسته جيدًا".. وهو متزوج من أمريكية، وهو أب لبنات أربعة هن: منيرة، ثريا، كريمة، وفيروز.. وجد لثلاثة من الأحفاد.

كان حبه للوطن ورغبته في احداث تغيير اجابي لصالحه هو ما دعاه للموافقة على اختيار الرئيس السادات له كمستشار علمي، حيث كلِّف بمهمة اختيار أماكن صحراوية تصلح لإقامة مشروعات عمرانية جديدة، وهو الأمر الذي تناوله بمنتهى الجدية ليبدأ دراسة متعمقة وأبحاث تستمر لأكثر من ٢٥ عاما من الجهد والعمل يعلن في نهايتها عن حلمه للأجيال القادمة ولمستقبل مصر من خلال مشروع "ممر التعمير والتنمية"، والذي يهدف إلى إقامة ممر يتوازى مع وادي النيل ويرتبط معه بأفرع فيما يسمى بسلم التنمية، وهو الحلم الذي سيفتح مجالا لبناء مدن وقرى جديدة في مراكز التكدس السكاني المقترحة، وبذلك يمكن وقف التعدي على الأراضي الزراعية كليا، حيث ستكون في موازاة كل مدينة كبرى مدينة أخرى قريبة ومتصلة بها، كما أنه سيفتح المجال للاكتفاء الذاتي من الغذاء، فهناك ثلاثة أماكن كبرى في مصر صالحة للزراعة فعلا، وبلا أي جهد للاستصلاح.



نظرة على ممر التنمية والتعمير

هذا الممر المقترح سيكون فيه طريق مواصلات سريع يتكون من ٨ ممرات مطابقة للمواصفات العالمية، وبجانبه خط للسكة الحديد، وأنبوب مياه قطره نحو ١.٦ متر بطول ٨٠٠ كيلومتر لنقل المياه من بحيرة ناصر إلى منطقة العلمين، وبجانب أنبوب المياه يقام خط للكهرباء، لتتوفر بذلك كل المقومات الرئيسية للحياة، ويمتد الطريق من ساحل البحر المتوسط شمالا حتي بحيرة ناصر في الجنوب وعلي مسافة تتراوح بين١٠ و٨٠ كيلو مترا غرب وادي النيل، يفتح هذا الممر آفاقا جديدة للامتداد العمراني والزراعي والصناعي والتجاري حول مسافة تصل الي٢٠٠٠ كيلو متر. ولأن مصر في حاجة ماسة الي مخرج من الوضع الاجتماعي الصعب في الوقت الحالي بالذات، فهو يعيد طرح المقترح عله يتم النظر فيه بجدية، وربما للتنفيذ بأموال مستثمرين من القطاع الخاص الوطني أولا ثم العربي ثانيا ثم العالمي ثالثا.

يعتبر النقل من أساسيات التقدم والازدهار علي مر العصور وقد كان قيام الدولة المصرية القديمة منذ أكثر من خمسة آلاف عام معتمدا علي النيل كطريق يربط شمالها بجنوبها حيث كانت تنتقل من خلاله الناس والأخبار والغذاء والمنتجات والبضائع ورجال الأمن وجامعو الضرائب وكل ما يمثل كيان الدولة وسر بقائها كذلك اعتمد الإغريق والرومان والعرب علي تسهيل وتأمين النقل في جميع أرجاء حضارتهم. وفي العصر الحالي نمت أوروبا الحديثة بعد إنشاء شبكات الطرق السريعة فيها، وكذلك تفوقت أمريكا علي باقي العالم الغربي باستخدام ثرواتها الطبيعية أحسن استخدام، مما استدعي إنشاء شبكة متميزة من السكك الحديدية والطرق في جميع أرجائها.



وبالنسبة لنا في مصر لا يصح إنشاء شبكة جديدة في وادي النيل والدلتا لأن في ذلك اعتداء علي الأرض الزراعية المعتدي عليها أصلا نتيجة النمو الكبير للكتل السكانية العشوائية وغير المرخص لها في اغلب الأحيان.. هذه الأراضي الخصبة رسبها نهر النيل العظيم علي مدي ملايين السنين. ولقد تكدس سكان مصر في مساحة محدودة منها نتيجة الزيادة المستمرة في عدد السكان، ولا يعقل أن نستمر في العيش علي٥٪ من مساحة أرضنا مع الاستمرار في البناء فوق التربة الزراعية لذلك فلابد من فتح آفاق جديدة للتوسع العمراني والزراعي والتجاري خارج نطاق وادي النيل الضيق.

يؤهل المقترح الحالي إضافة الي تسهيل النقل بين أطراف الدولة، الحد من التوسع العمراني في وادي النيل والدلتا بفتح آفاق جديدة للنمو بالقرب من التجمعات السكانية الكبرى ومجالات لا حصر لها في استصلاح أراضي صحراوية وإنشاء مشاريع جديدة للتنمية في مجالات الصناعة والتجارة والسياحة، كما يعطي المقترح أملا جديدا لأجيال المستقبل باستخدام احد عناصر الثروة الطبيعية وأقربها الي التجمعات السكانية الحالية وهو الشريط المتاخم لوادي النيل في الصحراء الغربية.

لقد اختير هذا الجزء من الصحراء الغربية بناء علي خبرة في تضاريس مصر وإمكاناتها التنموية ويتكون الشريط المتاخم لوادي النيل من هضبة مستوية بميل بسيط من الجنوب الي الشمال بموازاة النيل، ولا تقطع المنطقة أودية تهددها السيول كما هو الحال في شرق النيل، كذلك تتواجد مساحات شاسعة من الأراضي التي يسهل استصلاحها لإنتاج الغذاء إضافة الي احتمالات وجود المياه الجوفية. هذا



الشريط بالذات تقل فيه الرمال ولا تتقاطع معه خطوط الكثبان الرملية. وكما هو الحال في باقي الصحراء الغربية تشتد أشعة الشمس والرياح مما يسمح باستخدام هذه المصادر للطاقة المتجددة في المستقبل.

مزايا المشروع

يلزم لأي مقترح لمشروع تنموي دراسة الآثار الجانبية له وخاصة من الناحية البيئيتن ولأن المشروع المقترح يقلل من تدهور البيئة في وادي النيل فهذا يعتبر إحدى مزاياه العديدة، الجانب الأساسي الذي يجب دراسته هو الجدوى الاقتصادية للمشروع، أي مدي نجاحه المؤكد من ناحية الاستثمار وهذا يتم من خلال دراسة جدوى يجريها المختصون بناء علي بيانات حقيقية ومنطقية. أما المزايا والمنافع المنتظرة للمشروع فعديدة نوجز منها ما يلي:

- الحد من التعدي علي الأراضي الزراعية داخل وادي النيل من قبل القطاع الخاص والحكومي معا.
- فتح مجالات جديدة للعمران بالقرب من أماكن التكدس السكاني.
- إعداد عدة مناطق لاستصلاح الأراضي غرب الدلتا ووادي النيل.
- توفير مئات الآلاف من فرص العمل في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والإعمار.
- تنمية مواقع حديدة للسياحة والاستجمام في الصحراء الغربية بالشريط المتاخم للنيل.
- الإقلال من الزحام في وسائل النقل وتوسيع شبكة الطرق الحالية.



- تأهيل حياة هادئه ومريحه في بيئه نظيفه تسمح للبعض بالإبداع في العمل.
- ربط منطقة توشكي وشرق العوينات وواحات الوادي الجديد بباقي مناطق الدولة.
- خلق فرص جديدة لصغار المستثمرين للكسب من مشروعات في حقول مختلفة.
- مشاركة شريحة واسعة من الشعب في مشاريع التنمية مما ينمي الشعور بالولاء والانتماء.
- فتح آفاق جديدة للعمل والتمتع بثمار الانجاز في مشروع وطني من الطراز الأول.
- خلق الأمل لدي شباب مصر وذلك بتأمين مستقبل أفضل

الطريق الرئيس والطرق الفرعية

يمثل الطريق العالمي من الشمال الي الجنوب العنصر الأساسي لممر التعمير، يبدأ الطريق علي ساحل البحر المتوسط في موقع يتم اختياره بين الإسكندرية والعلمين، ويؤهل إنشاء ميناء عالمي جديد يضاهي الموانى العالمية الكبرى في المستقبل يؤخذ في الاعتبار الحاجة الي توفير استخدام تكنولوجيا المعلومات الحديثة في التعامل السهل السريع مع الصادرات والواردات والبضائع المؤقتة ويعيد مثل هذا الموقع المكانة المرموقة للإسكندرية بين الموانى العالمية

يتكون الطريق الرئيس من ثمانية ممرات علي الأقل اثنان لسيارات النقل واثنان للسيارات الخاصة ذهابا وإيابا . كما يلزم أن يمهد

الطريق وفق المواصفات العالمية التي تسمح بالسير الآمن السريع دون توقف إلا في حالات الطوارئ ومحطات الاستراحة والوقود ومراكز تحصيل رسوم السير، وربما يستدعي تأمين صلاحية الطريق إنشاء مؤسسة خاصة تقوم بتحصيل الرسوم اللازمة لهذا الغرض علي مشارف الطرق العرضية.

أما الطرق العرضية فيشتمل المقترح علي اثني عشر طريقا عرضيا تربط منها الطريق الرئيسي بموقع من مواقع التكدس السكاني في الدلتا وبموازاة وادي النيل، تسمح هذه الطرق بالامتداد العمراني غربا في هذه المواقع رويدا رويدا وتضيف بعدا جغرافيا لعدد من المحافظات التي تعاني من الاختناق في الوقت الحالي، ويجب ألا يسمح إطلاقا بالنمو العشوائي في تلك المناطق بل يجب أن يسبق التخطيط والتنظيم والخدمات لنمو الحضري لها وتسمح هذه الطرق العرضية التنقل بين المحافظات بسرعة ويسر كما تؤمن النقل السريع بينها وبين العالم الخارجي. وعلي سبيل المثال تشمل الطرق العرضية المقترحة ما يلي:

فرع الإسكندرية

يمتد هذا الفرع من الطريق الرئيسي غربا ليصل الي مدينة الإسكندرية وميناءها ومطارها الدولي، ويمكن أن يستمر الفرع شرقا حتي طريق الدلتا الساحلي الي رشيد ثم دمياط، وبذلك يربط الفرع الطريق الرئيسي للممر بشمال الدلتا بأكملها.

فرع الدلتا

لربط الطريق الرئيسي بمنتصف منطقة الدلتا ربما في مدينة طنطا. مثل هذا الفرع يتطلب المحافظة علي الأراضي الزراعية في مساره وربما يتطلب جسور جديدة علي فرع رشيد وقنوات الري والصرف. الجزء الغربي من هذا الطريق يرصف علي صحراء قاحلة وقابلة للاستصلاح وتمثل بعدا جغرافيا جديدا لمحافظة الغربية أكثر محافظات الدلتا اختناقا علي الإطلاق.

فرع القاهرة

يؤهل هذا الفرع ربط الطريق الرئيسي بطريق مصر - إسكندرية الصحراوي ثم بأكبر تجمع سكاني في قارة إفريقيا بأكملها، ألا وهي محافظة القاهرة. ويمكن لهذا الفرع أن يستمر شرقا إلي المعادي ومنها إلي طريق السويس كي يربط الميناء الجديد بميناء السويس. ويؤهل ذلك نقل البضائع بريا من البحر المتوسط غرب الإسكندرية إلي البحر الأحمر عبر خليج السويس كمجال إضافي للنقل البحري عبر قناة السويس.

فرع الفيوم

يؤهل هذا الطريق تنمية الصحراء في شمال وغرب منخفض الفيوم، ومنطقة غرب الفيوم بالذات يمكن تنميتها صناعيا لإبعاد الصناعات مثل صناعة الأسمنت عن المواقع السكنية لتحسين البيئة فيها



فرع البحرية

يؤهل هذا الفرع وصل الطريق الرئيسي بالواحات البحرية في اتجاه جنوب غرب الجيزة، وبذلك يؤهل الفرع الوصل بين واحات الوادي الجديد الشمالية والطريق الرئيس. ويسمح الفرع بالتوسع في السياحة في منخفض البحرية وكذلك استخدام ثرواتها المعدنية وخاصة رواسب الحديد.

فرع المنيا

يفتح هذا الفرع آفاقا جديدة للنماء غرب وادي النيل في منطقة تكتظ بالسكان وتحتاج إلي التوسع في العمران لاسيما نظرا لوجود جامعة بها هذا بالإضافة إلي الحاجة لعدد من المدارس ومعاهد التدريب

فرع اسيوط

يمكن إعادة كل ما قيل عن فرع المنيا ، إضافة إلي أن هذا الفرع يؤهل السير علي طريق الواحات الخارجة وباقي واحات الوادي الجديد

فرع قنا

يوصل هذا الطريق إلي منطقة واسعة يمكن استصلاح أراضيها تقع جنوب مسار نهر النيل بين مدينتي قنا ونجع حمادي تكونت التربة في هذه المنطقة نتيجة لترسيب الأودية القديمة مما يعني أيضا احتمال وجود مياه جوفية يمكن استخدامها في مشاريع الاستصلاح.



فرع الأقصر

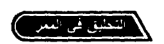
يؤهل هذا الطريق امتدادا غير محدود للمشاريع السياحية المتميزة فوق الهضبة وغرب وادي النيل بالقرب من أكبر تجمع للآثار المصرية القديمة في الأقصر. إضافة إلي ذلك يمكن استثمار الطبيعة الفريده في منخفض الخارجة بالإضافة إلي الواحات العديدة والكثبان الرملية الباهرة.

فرع كوم امبو واسوان.

يعبر هذا الفرع سهلا واسعا يمثل مجري قديما للنيل ولذلك تغطيه ترية خصبة صالحة للزراعة. ولأسباب جيولوجية بدأ مجري النيل الهجرة شرقا حتي وصل إلي موقعة الحالي. ولدلك يمكن استخدام المياه الجوفية المختزنة منذ قديم الزمن في استصلاح هذا السهل الخصيب. امتداد الفرع في اتجاه الجنوب الشرقي يربط مابين الفرع وبين الطريق الرئيس ومدينة أسوان. مما يسهل نقل المنتجات المحلية إلي المحافظات الشمالية علاوة علي التنمية السياحية عبر تيسير زيارة المواقع السياحية في منطقة أسوان.إضافة إلي ذلك يؤهل الطريق تنمية مطار أسوان للتجارة العالمية.

فرع توشكي

يهبط الطريق الرئيسي من الهضبة حيث يتم وصلها بعدة أماكن حول منخفض توشكي. لقد تم حفر قناة لتوصيل مياه النيل من بحيرة ناصر إلي منخفض توشكي بغرض استصلاح الأراضي المحيطة بالبرك التي تكونت في المنخفض هذا المشروع يستدعي عدة سبل للنقل السريع الي المحافظات الشمالية ومنافذ التصدير معا كما يؤهل هذا الفرع وصل



المنطقة بالطريق الرئيسي ويسهم في نجاح مشاريع التنمية في منطقة توشكي

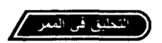
فرع بحيرة ناصر

تمثل بحيرة ناصر موقعا متميزا لتنمية الثروة السمكية وصيد الأسماك، وخاصة إذا تم تسهيل نقلها إلي مواقع التكدس السكاني في المحافظات الشمالية، ويمكن أن يتم ذلك في موقع يتم اختياره شمال معبد أبو سنبل.

تصور السكة الحديدية وخط المياه والكهرباء

يشتمل ممر التعمير المقترح علي شريط سكة حديدية للنقل السريع بموازاة الطريق الرئيسي تؤهل هذه الوسيلة نقل الناس والبضائع والمنتجات من جنوب مصر حتي ساحل البحر المتوسط لاسيما وأن السكة الحديدية تعاني من الكهولة. كما لا يصح إنشاء سكة حديدية جديدة داخل وادي النيل لأن في ذلك تعديا علي الأراضي الزراعية

تؤهل السكة الحديدية للنقل السريع شحن الأسماك من بحيرة ناصر التي تذخر بالثروة السمكية إلي مواقع التكدس السكاني في شمال وادي النيل. كذلك تمكن الوسيلة من الاستخدام الأمثل في الصناعات العديدة كصناعة الألمونيوم في نجع حمادي. فوجود السكة الحديدية الجديدة سوف يجعل النقل من الميناء إلي المصنع ثم المنتج من المصنع إلي السوق يتم في سهولة ويسر وبتكلفة أقل، هذا بالإضافة إلي الحد من الزحام الناتج عن حركة الشاحنات علي الطريق الزراعي الحالي.



ونظرا لأهمية توفير الماء الصالح للشرب بطول الممر المقترح فوق هضبة الصحراء الغربية يفضل نقل الماء من بحيرة ناصر أو قناة توشكي داخل أنبوب لمنع البخر أو تسرب الماء في الصخور ويشمل التخطيط لمشاريع التنمية المختلفة علي طول الممر استخدام المياه الجوفية في الزراعة والصناعة، ولكن الحاجة الي الماء للاستخدامات البشرية خلال المراحل الأولي للمشروع يتطلب توفير الأنبوب المذكور

ربما يلزم المشروع خلال تلك المرحلة أنبوب قطره متر أو متر ونصف وهذا ليس بكثير لأن ليبيا قد أقامت النهر الصناعي العظيم لنقل الماء العذب من أبار صحرائها في الجنوب الي مدنها علي ساحل البحر المتوسط في أنبوب قطره أربعة أمتار وبطول٢٠٠٠ كيلو متر. وكما هو الحال في ليبيا، بعد ضخ الماء الي مستوي الهضبة يتم نقله من الجنوب الي الشمال بالميل الطبيعي لسطح شمال إفريقيا

يلزم للمقترح إنشاء خط كهرباء للإنارة والتبريد علي طول الطريق الرئيسي، وخاصة لأن مسار الطريق يمر في منطقة صحراوية لا توجد فيها متطلبات التنمية الأساسية، خلال المراحل الأولي للمشروع في نفس الوقت يجب تشجيع مشروعات التنمية العمرانية والزراعية والصناعية والسياحية المنظمة واستخدام مصادر الطاقة المستدامة كالطاقة الشمسية وطاقة الرياح.

هل يمكن أن يتحول الحلم إلى حقيقة

يتطلب المشروع دراسة مستفيضة بواسطة أهل الخبرة في المهن المختلفة، ويفضل أن يكون من يقوم بالدراسات المطلوبة، بدعم من القطاع الخاص المعني، خبراء في مراكز الأبحاث والجامعات حتي



نتحقق أن المقترح يتم تقديمه جديا بواسطة أهل الخبرة والمعرفة في جميع المجالات.

في نفس الوقت يجب مناقشة مثل هذا المشروع الحيوي في البرلمان لكي يمكن سن القوانين واتخاذ الإجراءات التي تحمي الناس من الروتين الحكومي أو استغلال بعض العاملين في القطاع الخاص.

ويفضل "الباز" مشاركة أوسع شريحة ممكنة من الناس. فيمكن لكل محافظة مثلا البدء في إعداد قائمة بمشروعات التنمية وأولوياتها بناء علي احتياجاتها الحقيقية وفي ضوء مواردها من العمالة الفنية اللازمة وقدراتها الأخرى. وفي نفس الوقت يجب عدم المساس باستقطاب عمالة أجنبية للعمل في المشروع مهما كانت الأسباب لأن المصري أو المصرية يمكن تدريبهما للقيام بأي عمل كان وبأعلى مستويات الأداء العالمية.

وكذلك يمكن تشجيع شباب الجامعات من خلال مسابقات لاختيار مشاريع تنمية تقام في محافظاتهم حتي طلبة المدارس يمكنهم المشاركة بمسابقات لاختيار أسماء الطرق العرضية والمدن والقرى التي سوف تنشأ علي جوانبها. مشاركة الشباب مهمة للغاية لأن الهدف من المشروع هو تأمين مستقبلهم عبر إتاحة فرص عمل لانهائية أمامهم.

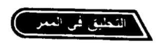
معني ذلك أن الباب مفتوح علي مصراعيه لمشاركة من يود أن يدلوا بدلوه علي شرط أن تكون الأفكار المقدمة ليس الغرض منها هو الكسب الشخصي الضيق والمحدود، ولكنها تصب أولا وأخيرا في

الصالح العام، وهكذا تتقدم الدول ويعمل الناس بعزم ونشاط وولاء وانتماء وتزدهر الحياة مرة أخري في وادي النيل الخالد.

تكمن المشكلة حالياً أن الحكومة لم تتخذ قرارا جادا بتبني المشروع أو رفضه نهائيا، فمع بداية الفكرة عام ١٩٨٢ كانت تكلفته ٦ مليارات جنيه، أما الآن فتصل تكلفته إلى ٢٤ مليار جنيه وهو رقم يمكن توفيره بسهولة عند إشراك القطاع الخاص والمستثمرين فيه، حيث يمكن الانتهاء من المشروع - وفق تقديرات الباز- من ٥ إلى ٧ سنوات من العمل الجاد.

وبالتالي فقد كان قرار مجلس الوزراء بتشكيل لجنة للنظر في تنفيذه وإعداد تصور لذلك تمهيدا لطرحه علي المكاتب الاستشارية العالمية نوعا من العبث، كما أن المتاجرة باسم "ممر التنمية" قد أضحت شعارا للمرحلة فكانت المبرر لتقسيم محافظة القاهرة إلى ثلاث محافظات على اعتبار أن ذلك خطوة تمهيدية لإقامة مشروع الممر، أما أطرف ما جاء في تقارير لجنة دراسة المشروع فكانت التحفظات التي تحذر من الخطورة الأمنية لإقامة المشروع، على اعتبار أنه يعمل علي تقسيم مصر من ناحية الصحراء الغربية إلي قسمين بالإضافة إلى أن العمل فيه يستغرق ما بين ٥٠ إلى ٧٠ عاما.

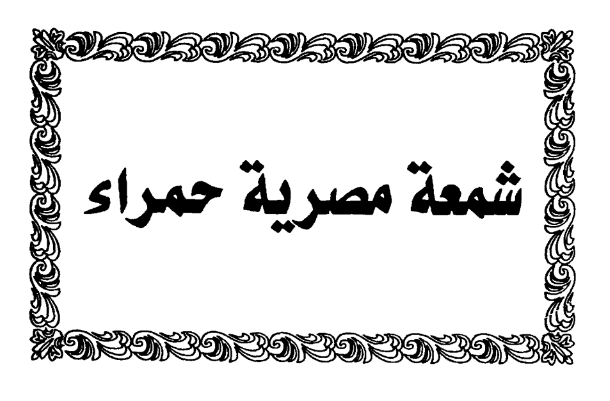
ولكن بدون شك فان الأمر يحتاج إلى إرادة جادة ورغبة حقيقية في النهوض بمستقبل مصر، يتكاتف فيها الجميع ولاسيما رجال الأعمال والمستثمرين المخلصين، لأننا الآن في أمس الحاجة لمثل هذا المشروع



أكثر من أي وقت مضى ليلتف حوله الجميع وليساعدنا في الخروج من عنق الزجاجة في كافة المجالات، حتى لا يموت "الباز" ويموت معه المشروع وتموت معه تطلعات كل المصريين بمستقبل أكثر ازدهاراً.







شمعة مصرية حمراء

شمعة مصرية حمراء

يخطئ من يظن أن الشباب المصري فقد الهوية وأضاع الأمل وأنه لا يوجد ما يشغل باله سوى تفاهات الأمور، فإذا كانت الساحة مليئة بمثل هذه النماذج بالفعل، فإنما يمثل ذلك الغثاء الذي يعلو السيل، وقد علمتنا الأيام أن اللآلئ دوما ما تختفي في قاع المحيط بينما تطفو الجيف عليه.

في الحقيقة فان ما ينقص شبابنا فقط هو وجود القدوة العملية وتوافر المشروع والهدف السامي الذي يستخرج الطاقات الكامنة ويولد الانجاز ويصنع المستحيل، وهناك الكثير من النماذج التي استطاعت تحقيق ذلك عندما عاشت حياة جادة، ورسمت لنفسها رسالة لتعيش من أجل تحقيقها.

من رحم المعاناة ولدت أفكار مجموعة من الشباب الذين استشعروا المسئولية تجاه الوطن وأحسوا بوجوب تقديم شيئا ما للمجتمع، فلم يقفوا مكتوفي الأيدي ولم يكتفوا بندب حظهم على سوء حال هذا الزمان وما آلت إليه الأوضاع من تدهور، ولكنهم سطروا سجلات المجد وبدءوا رحلة النجاح بعدما عايشوا لحظات عصيبة لحادث طريق، عانى خلاله المصاب من عدم توافر أكياس الدم لإنقاذ حياته، وهي الأحداث التي صنعت معهم الفارق ووجدوا فيها بغيتهم، من خلال مشروع عاشوا من أجله وبذلوا لإنجاحه الكثير من الوقت والجهد والمال.

بالرغم من أننا نعاني بشكل عام من سوء إدارة للموارد في بلادنا، إلا أن بعض الموارد عندما تسوء إدارتها فان ذلك يعني الموت فورا وهو ما يمثل كارثة كبرى، لأننا عندما نتحدث عن نعمة وسر من أسرار الحياة وهبه الله تعالى للبشر بحيث يصبح أهم الموارد التي تتجدد باستمرار ولا تنضب أبدا وهو الدم، فإننا نفاجأ بأن مصر تعتبر من أفقر الدول والأكثر احتياجا للدم، فطبقا لإحصائيات عام ٢٠٠٦ فإن احتياج مصر للدم يعادل ثلاثة ملايين ونصف المليون كيس سنويا، بينما الدم المتوفر نتيجة التبرع هو ثمانمائة ألف كيس، أي أن الباقي يمثل عجز، والعجز فيما يخص الدم يعني مرض أو موت.

من هنا كانت الحماسة وبدء العمل الجاد لمجموعة من الشباب أسماؤهم مجهولة للجميع ولكن أعمالهم وانجازاتهم صارت محفورة في جدار الوطن، فكانت الفكرة التي راودت "هشام عادل" و"أحمد الباشا" بأن يتم التعامل مع المشروعات الخيرية ليس بمنطق البركة و"الدروشة"، وإنما بنفس أسس التعامل مع المشروعات الاقتصادية، وذلك من خلال استخدام أسس الإدارة والتمويل والتسويق، بالشكل الذي يحقق أفضل استغلال ممكن للموارد المتاحة، ومن هنا فقد نشأت فكرة التبرع التطوعي المنتظم للدم بحيث يطبق نظام تسجيل واستدعاء المتبرعين المنتظمين بالتعاون مع بنوك الدم المختلفة.

وبعد تحليل مأساة نقص الدم بمصر وجد أن المشكلة الرئيسية تتمثل في غياب وعي وثقة المواطن تجاه عملية التبرع بالدم وإدارتها، ولذلك فقد اختار هؤلاء الشباب أن يتم التعامل مع المتبرع كأنه عميل بالمفهوم التجاري، فالمطلوب إذن هو جذب العميل وإعلامه وتوعيته



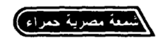
بأهمية التبرع بالدم، بالإضافة لاكتساب ثقته، كما كان لتقارير منظمة الصحة العالمية بخصوص مشكلة نقص كميات الدم بمصر دور في زيادة حماسهم تجاه الموضوع، والتي اعتبرت غياب نظام التبرع على أساس مجتمعي من أهم المشاكل التي تعاني منها مصر، كما اعتبرت التقارير أن هناك أدلة قوية على أن أفضل الإجراءات فاعلية لضمان سلامة الدم هو أن يتم جمع الدم من فئة محددة جيدا من المتبرعين الذين لا ينتظرون مقابلاً لتبرعهم بدمهم بانتظام، حيث لم يعد الانتظام في التبرع مرغوباً فقط لتوفير دم كافي بل الأهم هو أمان الدم وفعاليته.

ومن هنا كانت بداية العمل الجاد من الشباب لاجتذاب المزيد ممن يتحمس للفكرة ويتبناها معهم، فتم الاتفاق على أن وحدة الإنتاج الرئيسة في هذا المشروع ليست عدد أكياس الدم وإنما وحدة الإنتاج هي العملاء المكتسبين "المتبرع المنتظم بالدم"، فكانت الحركة الدعوية في كل الاتجاهات لنشر الفكرة في جميع الأوساط، فتم الاتصال بالجمعيات الخيرية ذات الصلة وبوسائل الإعلام المتاحة، لكسب المزيد من المتبرعين وإنقاذ حياة المزيد من المرضى والمصابين، وكان يتم ذلك بتسجيل المتبرعين عن طريق الاتصال المباشر بهم، ثم تجري عملية تصنيفهم على أساس فصيلة الدم ومحل الإقامة، ومن ثم إدراجهم في قاعدة بيانات إلكترونية عملاقة صممت لاستيعاب أعدادا غير محدودة من المتبرعين الراغبين في الانضمام للمشروع من جميع الأماكن، لتكون الخطوة التالية هي استدعاء المتطوعين للتبرع بانتظام أو وقت الاحتياج لهم بعد مرور الفترة المناسبة على آخر تبرع بما يضمن سلامة المتبرع وصحته.

بالطبع لم يخل الأمر من وجود العديد من المعوقات أمام نجاح الشباب في تحقيق رسالتهم، فقلة وعى المجتمع بأهمية التبرع التطوعي، وانتشار الأفكار السلبية التي تؤدى لغياب الثقة (الاتجار بالدم- انتقال العدوى- ضعف الصحة) كانت أهم المثبطات التي أعاقت في البداية تقدم المشروع، يضاف إلى ذلك غياب الالتزام الحكومي الفعال لدعم الجهود المبذولة في توفير الدم الآمن لجميع الموطنين، ونقص التمويل الثابت للمشروع الذي يعتمد على الجهود التطوعية بشكل كامل، بالإضافة إلى عدم وجود كيان إداري مستقل للمشروع حيث يعتمد على إمكانات الجمعيات المنظمة والجهات المعاونة.

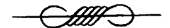
ولكن بالرغم من ذلك ظلت الحماسة والجهد المستمرين هي السمة السائدة لهذه المجموعة المتميزة، التي بدأ عملها ينتشر تدريجيا وزادت الأعداد المسجلة من المتطوعين باضطراد، ولكن بقي الحلم الدائم لهم بأن يتحقق الاكتفاء الذاتي من الدم لمصر كلها، من خلال بناء قاعدة بيانات تحوي عدة ملايين من المتطوعين الذين يمارسون عملية التبرع بانتظام طبقا لجداول تنظم ذلك، لتكون الخطوة التالية هي الانتقال بالتجربة الناجحة بعد ذلك لكل البلاد العربية والإسلامية وكل بلاد العالم.

لقد استطاع هؤلاء الشباب والكثيرون من أمثالهم أن يضربوا المثل والقدوة للجميع في إمكانية الأجيال الحالية لتحقيق الكثير من الانجازات التي كانت تبدو حتى وقت قريب أمورا مستحيلة، وتجاوز الصعوبات متى توفرت الإرادة واتضحت الأهداف المراد تحقيقها، وتغلبت مصلحة المجتمع على المصالح الفردية، ولكن يبقى دور كل فرد يحمل



هم الوطن في البحث عما يمكن تقديمه للمجتمع وفقا لإمكانياته وظروفه.

يا سادة.. إن من يريد أن ينجح ويحقق أهدافه ليعيش حياته من أجل فكرة، فسوف يصل إليها حتما ولو بعد حين، أما من يبحث عن المبررات ويقدم الأعذار وينتظر ما يقدمه الآخرون.. فسيكون الفشل حليفه وسيحيا في دائرة الظل على الدوام ليصبح زائدا على هذه الدنيا .







أفضل من
عقد عمل بالخارج

أفضل من عقد عمل بالخارج

هل تصدق أنه توجد الكثير من فرص العمل في مصر بمرتبات خيالية؟، وأن هناك الكثير من الشركات التي تجد صعوبة بالغة في توظيف الشخص المناسب والمؤهل لها؟ ولكن..

تخرج "عبد الرحمن محمد" من كلية التجارة العام الماضي وقضى أكثر من ثمانية شهور في انتظار تحديد موقفه من التجنيد، كان معظم تلك الفترة مستغلا في الجلوس على "القهوة"، ليحصل في النهاية على شهادة بتأجيله من أداء الخدمة العسكرية، حيث بادر فورا بدفع عشرة آلاف جنيه ليحصل على تأشيرة عمل في "أبو ظبي" كموظف أمن براتب شهري يعادل ألفي جنيه، ونظرا للارتفاع الكبير في أسعار السكن والمعيشة فهو يدخر ما يقارب الثلاثمائة جنيه شهريا، أما "أحمد حسن" فقد تخرج من كلية الزراعة وبعد قضائه لفترة الخدمة العسكرية تقدم للحصول على أكثر من وظيفة من خلال إعلانات جريدة الأهرام، ولكن جميع الوظائف كانت تشترط إجادة الحاسب واللغة الانجليزية، وهو ما صعب من مهمته نظرا لدراسته جميع المواد في الجامعة باللغة العربية، ليقوم هو الآخر بدفع نفس المبلغ للسفر، ويحصل على فرصة عمل "كعامل" في مطعم بالسعودية براتب يعادل ألف وخمسمائة جنيه، يستطيع أن يدخر منها شهريا نفس ما يدخره عبد الرحمن تقريبا.

"عبد الرحمن" و"أحمد" يمثلان النموذج المتكرر لعدد كبير جدا من الشباب ممن اختاروا الطريق الأقصر والأضمن، وقبلوا بأول وظيفة وأي مهنة قابلتهم للعمل بالخارج، وحجتهم في ذلك عدم توافر فرص العمل بمصر، وان وجدت الفرص فتحتاج إلى الواسطة، وحتى إن وجدت الوظيفة فالمقابل المادي ضعيف جدا ولا يمكن لأي شاب أن يبني حياته بهذا الشكل.

فكر في المستقبل

دعنا نتفق من البداية أن الحكومة لم تقم بدورها المطلوب لتوفير فرص العمل اللائقة للشباب، وأنه ما زال هناك الكثير مما يجب تقديمه من جانب الدولة لمعالجة أزمة البطالة، ولكني الآن أتحدث إلى الشباب الذين وضعوا تلك الشماعة أمامهم دوما، واستكانوا لتلك الأوضاع، وصار عملهم المستمر هو القيام بلعن تلك الظروف التي يعيشون فيها، وبالتأكيد فقد انعكس ذلك على انتمائهم للوطن وتحول إلى نقمة ورغبة عاجلة في البحث عن أي فرصة بالخارج مهما كان المقابل.

من التقاليد التي أحرص عليها منذ سنوات في محاضرتي الأخيرة بالعام الدراسي لطلبة الفرقة النهائية بالجامعة، أن أدير حوارا مفتوحا مع الشباب حول خططهم للمستقبل وحياتهم فيما بعد التخرج، وربط ما تم دراسته بالجامعة مع الواقع العملي للحياة، وفرص العمل المتاحة وفقا للتخصص، ويبدو المشهد مكررا لي كل عام.. حيث يعتبر أغلب الشباب أنه لا أمل في الحصول على وظيفة بدون واسطة وأن المستقبل مظلم تماما، وحينها أسألهم وأسألك عزيزي القارئ عن دورك أنت كفرد في رسم حياتك، هل فكرت في خطتك لمدة خمس سنوات من

حيث الأهداف والطموحات التي ترجو تحقيقها؟ وهل فكرت في آفاق مستقبلك الوظيفي؟ ثم يأتي السؤال الأهم ..فهل تعرف كيف يمكنك تطوير مهاراتك وأدواتك للوصول لتلك الأهداف؟

وحتى أساعدك عزيزي في الخروج من الفكرة المسيطرة عليك دوما بأنه لا توجد فرصة عمل بدون واسطة أو "كوسة"، دعني أسألك بوضوح.. إذا كنت أنت صاحب عمل وترغب في زيادة استثماراتك من خلال ١٠٠ وظيفة، فكم منهم ستختار من أصحاب الكفاءات الحقيقية، وكم ستختار من المعارف والوسائط؟ وأعتقد أنه مهما تفاوتت الإجابات فإنها ستدور جميعا في فلك حرص صاحب العمل على تنمية أعماله، من خلال توظيف العدد المقبول الذي سيمكنه من تحقيق ذلك، فلماذا لا تكن أنت ذلك الفرد صاحب الكفاءة الذي يبحث عنه الآخرون.

تأكد أن البحث عن وظيفة جديدة ليس بالشيء السهل ولكنه ليس بالشيء المستحيل، عليك فقط الصبر والعمل بعزم وإصرار كي تجد الفرصة المناسبة، وتذكر بأن أهم عنصر في عملية البحث عن الوظيفة هو أن تعرف نفسك من خلال تحديد رغباتك ومهاراتك وقدراتك والقيم التي تؤمن بها، علاوة على الأهداف التي تنوي تحقيقها، وكذلك يجب أن تعمل على أن تكون القدرات التي تتمتع بها تتوافق مع احتياجات ومتطلبات سوق العمل.

تكمن المشكلة في أن الجامعات المصرية تخرج أعدادا هائلة من الخريجين "العاديين" إلى سوق العمل سنويا والذين درسوا مناهج لا علاقة لها بواقع العمل، وللأسف فان الغالبية العظمى منهم اكتفى بتلك

الشهادة ولم يستطع أن يرسم طريقه بوضوح ليبدأ في تنمية مهاراته وإمكانياته وفقا لمتطلبات الوظائف المرغوبة في السوق، وبالأمس القريب حدثني صديقي الذي يعمل كمدير للموارد البشرية في إحدى أكبر الشركات، بأنه عندما أعلنت الشركة بالصحف عن رغبتها في توظيف شباب حديثي التخرج ولكن يشترط فيهم المعرفة والإلمام بأحد برامج الحاسب المتخصصة، وقد رصد لتلك الوظيفة راتب يزيد عن الأربعة آلاف جنيه، حيث تقدم لشغل الوظيفة أكثر من ثلاثمائة شاب ولكن لم يتم قبول أيا منهم لعدم وجود الشخص المؤهل، فجميع المتقدمين هم من نوعية الأشخاص "العاديين" الذين يزدحم به سوق العمل، والذين يبلغ أقصى طموحهم البحث عن فرصة عمل بأي مقابل في الخارج، وهم على استعداد لدفع مبالغ بعشرات الآلاف مقابل تلك الفرصة، في حين أنهم في نفس الوقت يشتكون من عدم توافر الإمكانيات اللازمة للحصول على الدورات والتأهيل اللازم لسوق العمل ويرفضون الاستثمار في المستقبل.

السفر للخارج.. هل هو الحل

يسود الكثيرين ذلك الاعتقاد.. أنه بمجرد خروجك من مصر للعمل في الخارج فقد بدأت حياة جديدة وابتسمت لك الدنيا وانتهت جميع مشاكلك، ولم لا وأنت الآن قد تركت حياة الفقر والعشوائية والبطالة والغلاء في مصر، وبدأت مرحلة مختلفة تماما، وبالتالي فان الحصول على فرصة العمل بدولة عربية أو أوروبية صار الحلم الذي يسعى إليه الجميع هروبا من الأوضاع البائسة وشعور الشباب بالغربة داخل وطنهم، لعدم توافر مقومات الحياة الآدمية الكريمة.



أولى المشاكل التي تواجهك عندما تبدأ في العمل بالخارج، أنك تحس بمدى الفجوة الحضارية الكبيرة بين مصر ودول العالم عموما ودول الخليج بصفة خاصة، فبينما لا زلنا نتحدث عن أزمة رغيف العيش والثانوية والمناطق العشوائية، نجد أن دول الخليج قد استطاعت تحقيق طفرة حضارية خلال السنوات الماضية وتستطيع أن تلمس ذلك بوضوح منذ لحظة هبوطك سلم الطائرة، فهناك ستجد احترام كامل لآدمية الإنسان وحقوقه بالإضافة إلى الاحترام والتطبيق الصارم للقوانين، وهناك ستجد أيضا احترام كامل لإشارات المرور بدون وجود عسكري واحد، كما ستحس بفارق كبير عندما تتعامل مع أحد الهيئات الحكومية لتكتشف أن المعاملات كلها يتم انجازها في خلال دقائق الكترونيا.

كل هذه الأمور تصب بدون شك في صالح السفر والبحث عن فرصة للهروب من الواقع الأليم، ولكن الوجه الآخر للمشكلة يبدأ في الإحساس الناشئ لديك خلال زيارتك السنوية لمصر ومشاهدتك لذلك التأخر المستمر الذي تعيشه البلد، وهو ما ينعكس سلبا على مشاعرك تجاه إمكانية عودتك للوطن، فكيف سيمكنك أن تقود السيارة في مثل هذا السيرك الكبير المسمى بالشوارع، وكيف يمكنك أن تتعامل مع موظفي الحكومة أصحاب الأدراج المفتوحة دوما، كل هذه الأحاسيس وغيرها من المشاعر الناشئة عند متابعتك لأخبار الوطن ومشاهدة الفضائيات بما تحمله من صورة سوداوية إلى حد كبير، تسبب المزيد من المشاعر السلبية تجاه البلد والتمسك بالفرصة المتاحة بالخارج مهما كلف الثمن ومهما جاء ذلك على حساب صحتك أو كرامتك أو أولادك، وهي المشكلات التي تتفاقم بمرور الزمن ليصبح

أمرا عاديا بالنسبة لك أن يتم احتجاز جواز السفر لدى الكفيل الذي يتحكم بحركتك ليس خارج البلد فقط، وإنما أيضا يتحكم في تنقلاتك داخل المدن وفقا لرغبته ومزاجه، وقد تضعك الظروف مثل كثيرين يجبرهم الكفيل على العمل مقابل دفع إتاوة شهرية، أو يجبرك على شراء الكفالة مقابل مبلغ مالي ضخم، كما أنك لا تستطيع تملك شقة أو شركة أو أرض ويظل يطاردك دوما شبح أنك مواطن من الدرجة الثانية.

مشاعر أخرى سوف تواجهها بعد سفرك وتتمثل في رحيل الأب والأم أو الأقارب عن الدنيا وفقدانك لهم، وأنت هناك تدور في تلك الدوامة ولا يتاح لك حتى أن تحضر جنازتهم أو أن تقبل أيديهم قبل وفاتهم، وفي تلك اللحظة ستلعن الغربة التي فرقت بينك وبين أهلك، ولكن يؤسفني أن أقول لك أن ذلك سيحدث في المرة الأولى فقط، لتعتاد بعدها على تلك المشاعر وتتلقى خبر وفاة الأقارب بمشاعر هادئة يتبعها مكالمة تليفونية لتقديم واجب العزاء، وتذييلها بظروف السفر وصعوبة توافر رحلات سفر للعودة والوقوف بجانب الأهل في تلك الظروف.

أعلم أن الكثيرين سوف يعتبرون ما أتحدث عنه مثالية زائدة، وأن حالهم الحالي يسمح لهم بالتغاضي عن تلك السلبيات في مقابل توفير لقمة العيش وتأمين المستقبل، ولكن يؤسفني أن أصدمك عزيزي بأنه حتى هذا الهدف أصبح تحقيقه صعبا في السنوات الأخيرة، ففي الجانب الآخر لاستطلاع الرأي اعتبر أكثر من ٨٠٪ من العاملين بالخليج أنه لا يستطيع ادخار مبلغ معقول يصلح كقاعدة لمشروع في مصر ويحقق حياة هادئة، وهو الهدف الذي وضعه الجميع في البداية أملا في تحقيقه بأسرع وقت

ممكن، ولكن بمرور الزمن فان ذلك الهدف بدأ يخفت تدريجيا، وبدا ارتفاع الأسعار عالميا لا يتناسب على الإطلاق مع الدخل الشهري، بالإضافة إلى أن العامين الأخيرين تحديدا قد شهدا تضخما هائلا بالخليج وطفرة غير مسبوقة في أسعار إيجار العقارات، لتصبح المصاريف الشهرية الثابتة للفرد المتوسط تتجاوز ٨٠٪ من دخله وينتج عن ذلك أن طموحك حاليا هو فقط أن تعيش عيشة مرفهة وتركب سيارة جديدة وتدخل أولادك مدارس محترمة، وتقضي إجازتك الصيفية في مصر وأنت لا تدري إلى متى يستمر ذلك، وقد صارحني الكثيرين من العاملين بالخارج أنه بالفعل لا يعرف لهذه الحياة نهاية وأنه لا يشعر بالسعادة على الإطلاق فهو وان توفرت له وسائل رفاهية لا تتوفر للكثيرين بمصر إلا أنه فقد الكثير من متع الحياة وبهجتها، والأخطر أنه فقد الهدف الذي كان يسعى إليه وتحول إلى مجرد ترس في ماكينة يظل يعمل ويصرف الكثير على الكماليات ولزوم الكماليات التي لا تنتهي أبدا.

وحتى يا صديقي لو استطعت أن "تدوس" على مشاعرك وتتأقلم مع تلك الحياة فان أقسى ما ستواجهه هو تلك اللحظة حينما يكبر أبناؤك ويصلوا إلى سن الجامعة، فأنت في نار ما بين تركهم بمفردهم في مصر لدراسة الجامعة، وهو ما قد ينتج عنه انحراف الكثير من الشباب نتيجة غياب الرعاية الأسرية، أو أن تلحق أبناءك بأحد الجامعات الخاصة بالخليج وهو ما سيستنزفك كليا لسنوات، وتواجهك مشكلة عمل البحث عن عمل لأبنائك في الخارج أيضا ليدخلوا هم تلقائيا نفس الدوامة، ولكنك ستشعر بمرارة أكبر وأنت تجد أبناءك قد فقدوا انتماءهم لمصر ولم يعد يعنيهم ما يحدث فيها فهم يشجعون ذلك النادي

الخليجي، ويحبون سماع ذلك المطرب الخليجي، وأصدقائهم المقربين هم خليط من كل الجنسيات.

دعني أسألك صديقي المغترب ولنتفق بأن نتصارح: هل ما زلت تذكر لماذا قررت السفر من البداية؟ وهل حققت ذلك الهدف أم أنه قد اختلف تماما الآن؟ ثم لتسمح لي بأن أسألك مرة أخرى عما استطعت ادخاره في العامين الأخيرين؟ ومدى تناسب ذلك المبلغ (إن وجد) مع التضخم والارتفاع الكبير في الأسعار؟

ولتدعني أساعدك في الإجابة والتي في الغالب ستخلص إلى أن موضوع الادخار لم يعد هو الأولوية الأولى بالنسبة لك، فيكفي أنك وأولادك تعيشون في نعيم من حيث المسكن والسيارة والرفاهية، وأن ذلك يصعب تعويضه عند الاستقرار في مصر، وخصوصا مع تنامي ذلك الهاجس الذي يصلك من أصدقائك وأقاربك في مصر دوما بأن الأوضاع في البلد لم تعد تطاق، وسؤالهم المستمر لك عن أية فرصة عمل بأي مرتب مهما كان، أو إعطائهم الفرصة لتأشيرة زيارة للبحث عن أي وظيفة أيا كان اختلافها عن تخصصهم وشهادتهم.

أرجوك بأن تتوقف لحظة صدق لتسأل نفسك وبوضوح هل سأبقى على تلك الحال حتى نهاية عمري؟ أم أني أريد العودة للوطن؟ وأنا أعلم مقدما بأن الإجابة ستكون "عندما ينصلح حال البلد فسأعود إليها".

وهنا تكمن الأزمة الحقيقية ومنبع المشكلة، حيث لم تعد القضية الآن أنك تريد أن تؤمن لك ولأولادك المستقبل، وإنما صارت ببساطة أنك تعيش نمط حياة يصعب التخلي عنه لتعود إلى الأوضاع

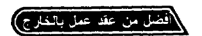
العشوائية المهينة، وهنا أيضا أرجو ألا يعتقد البعض بأني أدعوهم إلى ترك حياتهم الحالية والعودة أيا كانت الظروف، ولكن ما أطلبه أن تحدد بوضوح لنفسك وجهة في الحياة، وألا تدع مصيرك ومصير أولادك معلقا بقرار الكفيل أو قرارات التوطين أو تحليل الدم لتجديد الإقامة، وإنما كن صريحا مع نفسك ولترسم مستقبلك بناء على تلك الإجابات، فإذا اعتبرت أن عودتك لمصر أمر حتمي من أجل الحفاظ على أبنائك وبناء شخصيات محترمة قادرة على إفادة المجتمع، فلا تلتفت إلى كل من عض أصابع الندم بعد رجوعه من غربته إلى مصر؛ لأنه لو صدق مع نفسه ورجع بذاكرته إلى الوراء لتذكر أنه كان نادماً على قراره بالاغتراب في فترات متفاوتة من حياته هناك، ولتحدد لنفسك وبوضوح هدفا ماديا أو زمنيا عند تحقيقه تشكر الله تعالى على ما رزق، وتكون قد أعددت لنفسك البديل الذي يوفر لك الحياة الكريمة والمحترمة في مصر، ولتبدأ من الآن في دراسة هذا البديل.

صدقوني أن هناك من يعيش في مصر، واستطاع بالحلال وببذل العرق والتخطيط الجيد أن يكون ثروة أكثر بكثير مما قمت أنت بتجميعه في سنوات غربتك، وهو يعيش وأولاده حياة مرفهة تقترب من تلك التي تحلم أنت بها، ولكن فقط تنقصك الإرادة الجادة وعدم التعلل بالظروف، لأنك إذا قررت ترك الأمر إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا فستجد نفسك مثل صديقي الذي ينتظر منذ ثلاثين عاما أن تتصلح الأحوال ولم يحدث ذلك حتى الآن، ودعني أكن صريحا معك وأخبرك أنه من غير الواضح لأي إنسان متى يمكن أن يتغير الوضع الحالي، وهل يأتي ذلك بعد سنة أم بعد خمسين سنة.



وهنا أعود إليك مرة أخرى وأطلب منك أن تختار إجابتك وتحدد هدفك، فإذا امتلكت الجرأة الكافية وكان قرارك بأنك ستبقى في الخارج حتى الممات، وذلك حتى توفر لأولادك معك فرصة لائقة بالخارج، فأشكرك للغاية على صراحتك ووضوحك، وأطلب منك فورا أن ترد الجميل لأهلك وأقاربك بمصر وألا تعمل من أجل نفسك فقط، فكر فيما يمكنك عمله لإسعاد الآخرين وتغيير أوضاع المجتمع، وما يمكن تقديمه لبلدك كانجاز له قيمة ومعنى في الحياة بحيث يترك أثرا خالدا في نفوس الآخرين، ويترك بصمة ملموسة ترضى بها عن نفسك وترضي بها الله بعد رحيلك عن الدنيا، ولتذكر دوما كلمات مصطفى صادق الرافعي" إن لم تزد شيئا على الدنيا كنت أنت زائدا على الدنيا".

أعرف بعضا من الأصدقاء اختاروا المعيشة في الخارج ولكنهم عمروا المجتمع كثيرا وتركوا من أعمال الخير الكثير، وتلهج ألسنة المئات بالدعاء لهم في مصر، وأعرف أحد قراء جريدة "المصريون" الأفاضل ممن يعيش بالخارج ودوما ما يراسلني بعد كتابة مقالاتي التي تتحدث عن تجارب نجاح صنعها أفراد، ويطلب مني الاتصال بهم للمساهمة معهم في صنع نجاحات مشابهة، وأعرف بعضا من القراء راسلوني بعد المقال السابق وقرروا أن يفعلوا شيئا لبلدهم وأن ما يشغل بالهم حاليا هو البدء بعمل ورقة ضغط على النظام بهدف إحداث التغيير من خلال تجمع المصريون في المهجر، وفي المقابل فاني أعرف أناسا عاشوا في الخارج ما يفوق الثلاثين عاما ورحلوا عن الدنيا من دون أن يشعر بهم أحد إلا أبنائهم لبعض الوقت.



فاختر لنفسك يا صديقي وارسم هدفك من الآن، واتخذ قرارك بوضوح، واصنع ما تريده بيديك، ولا تنتظر ما يصنعه بك القدر فقط، ولا تنتظر عصا سحرية مني أو من غيري.

صدقوني أن أي شاب يضع أمامه هدف واضح، ثم يحيا حياته ويعمل بكل قوته لتحقيق هذا الهدف، إلا كان النجاح حليفه ولابد أن يحقق طموحه ويصل لذلك الهدف، ولكن المشكلة الحقيقية أننا نختار الحل الأسهل وهو تحميل الآخرين مسئولية الفشل، وإلقاء تبعة الإخفاق على الغير، وقديما قال "برنارد شو": يلوم الناس ظروفهم على ما هم فيه من حال.. ولكني لا أؤمن بالظروف فالناجحون في هذه الدنيا أناس بحثوا عن الظروف التي يريدونها فإذا لم يجدوها وضعوها بأنفسهم.

العمل الحر طريقا

هل تعيش في الخارج وتخشى من ضياع "تحويشة العمر" عند العودة إلى مصر، أم أنك شاب سئمت من الوظيفة وتريد أن تجرب طريق العمل الحر.

عاد من الخارج بعد سنوات طويلة قضاها في الغربة، اتخذ في نهايتها القرار الأصعب بالعودة نظرا للارتفاع الكبير في متطلبات المعيشة بالخارج، وها هو يحمل معه الكثير من الآمال ليبدأ حياة جديدة بعيدا عن هموم الوظيفة ومشاكلها، من خلال ذلك المبلغ الذي استطاع ادخاره خلال فترة السفر والذي يرغب في استثماره بمصر من خلال أحد المشاريع المضمونة، ولكن ما يؤرقه كثيرا هو عدم وجود سابق خبرة لديه في إدارة أي مشروع، وبالتالي فقد استشار بعض الأصدقاء الذين اتفقوا جميعا على أن أفضل استثمار للمال إما في مطعم "فول وطعمية"،

أو تأسيس "انترنت كافيه"، أو إيداع الأموال في البورصة، وقد رجح الاختيار الأول وذلك لعلمه بأن أي مشروع "أكل" يؤدي إلى مكسب مضمون، ولكن بكل أسف وبعد افتتاحه للمطعم بأسبوع اكتشف أنه يخسر في كل يوم أكثر من مائتي جنيه، وحتى بعد تخفيضه للعمالة الكبيرة بالمشروع فقد وصل معدل الخسارة إلى مائة جنيه يوميا، وهو ما اضطره إلى تصفية المشروع وعض أصابع الندم والبحث عن فرصة عمل جديدة بالخارج.

هذا المشهد كثيرا ما رأيناه يتكرر مع العديد ممن قرروا البدء في تأسيس أحد المشاريع بمصر، لينضم صاحبها إلى قائمة طويلة ممن يرى أنه لا أمل في صلاح الأحوال الحالية، وأنه حتى وان توافرت لديك الفرصة وملكت المال في مصر، فان الوضع العام للبلد لا يسر ومصير مشروعك الحتمي هو الإفلاس.

وفي المقابل فأنا أعرف أيضا ذلك الشاب الذي بدأ يجمع المعلومات حول كيفية بدء مشروع إنتاج "الجبن الأبيض"، حيث تشتهر قريته بأطراف محافظة "المنصورة" بإنتاج هذه الأصناف، وتضم ٢٢ مصنعاً تتسابق فيما بينها لإنتاج نفس المنتجات، وعندما سأل هذا الشاب أحد المتخصصين عن العبوة التي يتم فيها تعبئة "الجبن" علم أنها من صفيح معدني باشتراطات خاصة، ويتم جلبها من اقرب مصنع في "الإسكندرية" والتي تبعد عن قريته بأكثر من ثلاثمائة كيلومتراً، وهنا اتضحت الفكرة في خاطر الشاب ليسأل نفسه: لماذا أود أن أكون المصنع رقم ٢٣ في حين يمكنني أن أكون المصنع الأول الذي تتسابق عليه المصانع الأخرى؟، فبدأ الشاب بمكبس صناعة محلية إضافة لبعض المعدات

البسيطة كلفته حينها عشرة آلاف جنيه، والآن وبعد مرور سنوات فهو يمتلك خط إنتاج حديث وفرن وخط للطباعة الحديثة الملونة وإجمالي أصول تقدر بمبلغ مليون ونصف جنيه، وهناك أيضا بالمعسكر الآخر لم يتبق على قيد الحياة سوى سبع مصانع لتصنيع الجبن بعد أن لفظ السوق الهزيل منها.

هناك الملايين ممن تراودهم في كل لحظة فكرة بدء أعمالهم الخاصة أو افتتاح مشروعات جديدة، ولكن من ينجح منهم في بدء عمل جديد لا يتجاوز١٠ % حيث يفشل نصف هؤلاء المبتدئين خلال أربع ساعات من بدء النشاط، بسبب قلة رأس المال وغياب التمويل أو ضعف التخطيط، أو تراكم الديون .

العمل الحر ليس صعبا، ولكنه يتطلب منك الكثير من العمل والتخطيط، وهناك الكثير ممن اختاروا هذا الطريق ودرسوا مشاريعهم جيدا هم الآن من أصحاب الملايين وقد اكتسبوا كل أموالهم بالحلال، فإذا ما اخترت طريق الحرية في العمل والإبداع في إدارة الأعمال فكن على استعداد للمواجهة، وأولى قواعد الاستعداد هي أن تلم بقواعد اللعبة.

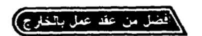
أولى القواعد التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار هي الابتكار والبعد عن التقليد، فهو أشبه بالعدوى في عالم المنشآت الصغيرة والمتوسطة : فما أن ترى مشروعا ناجحا حتى يكرره العشرات بنفس المدينة أو الشارع ليسقط الجميع بسبب عمليات "حرق الأسعار"، وإذا كان البعض مُصراً على التقليد فعليه أن يبدأ من حيث انتهى الآخرون من تطوير وتحسين، وبالتالي فان الفكرة تعتبر هي اللبنة الأولى للمشروع، فقد

يكون لدى كل منا العديد من الأفكار التي يمكن أن تؤدي - إذا أحسنا دراستها- إلى مشروعات ناجحة.

ويعتبر الإعداد للمشاريع الاقتصادية هو أهم الخطوات لنجاحها، حيث أن التخطيط السليم يضمن مدى نجاح وفاعلية هذه المشاريع بالإضافة إلى العائد المادي الجيد المتوقع منها، لذا وقبل البدء بأي مشروع يجب إعداد دراسة جدوى اقتصادية له، والتي تتيح التنبؤ بفرص النجاح ونقاط القوة والضعف والعوائق التي قد تكون موجودة مع بداية المشروع، وبالتالي يمكنك أن تعرف أين تضع أموالك.

الأمثلة على النجاحات كثيرة ومتوفرة.. فأنا بشكل شخصي أعرف كثيرا من الشباب ممن اختاروا طريق العمل الحر وكانت لديهم العزيمة والرغبة في النجاح، بالإضافة إلى عناصر التخطيط والدراسة الجيدة، فهذا "تامر" الذي بدأ حياته بعد التخرج من كلية التجارة بائعا في محل "ألبان" ولكن طموحه كان أكبر من ذلك بكثير، ليبدأ عمله الخاص الذي أخذ ينمو شيئا فشيئا ليصبح الآن صاحب سلسلة مخازن لتجارة الجملة تقدر بعشرات الملايين.

وهذا " إيهاب" الذي تخرج من كلية العلوم واختار فورا أن تكون له شركته الصغيرة التي بدأها مع أحد الزملاء، حيث يقوم بإعداد برامج الحاسب ليقوم بتسويقها بنفسه للشركات، إلى أن أصبحت شركته الآن من أكبر ٥ شركات في مصر بمجالها. وذلك هو "شريف" الذي يحمل "دبلوم صنايع" ويحوز خبرة لا بأس بها قضاها في مصنع للملابس، ولكنه قرر أن يكون هو صاحب الكلمة فبدأ بماكينة



واحدة خاصة به لتصنيع الملابس، وها هو الآن يمتلك مجموعة مصانع تقوم بتصدير الملابس إلى أوروبا وكافة دول العالم.

الأمثلة كثيرة ومتنوعة وتتوفر لمن امتلك العزيمة وقرر أن ينجح وأن يضيف، ولكن هل هناك من لا يريد النجاح في هذه الحياة؟ ستستغرب لو قلت لك إن الكثيرين بيننا ليست لديهم الإرادة الجادة للنجاح، بل ويرغبون في الفشل وهم لا يدركون ذلك، في داخلهم خوف دائم من المجهول، لذا تجدهم يفضلون دائما الوقوف خلف جدار من الأعذار والظروف وإلقاء التبعات على الغير، صحيح أن الحكومة تتحمل المسئولية الأولى عن تدهور الأوضاع الحالية، ولكن من يتخذ من ذلك حجة للقعود فسيظل يخطو في مكانه للأبد.

إن النجاح يولد من رحم الفشل.. لكن ذلك يحدث فقط للذين يتعلمون من تجاربهم وتجارب الآخرين.

وفي النهاية دعني أسألك يا صديقي: هل تعتبر السيدة الفاضلة والدتك هي الأم الأجمل في الدنيا؟ وهل استخدمت في تربيتك الطرق النموذجية المنصوص عليها لتربية الأبناء؟ ثم دعني أسألك أبالرغم من ذلك هل تحبها فعلا؟ وهل ستستمر في حبها حتى لو كانت قاسية عليك بعض الشيء؟

يا عزيزي.. أنت لم تختر أمك، وكذلك فأنت لم تختر وطنك.





المراجع

١- صفحات من تجربتي – عثمان أحمد عثمان.

٢- مقتطفات في ذكرى المعلم- د. عاطف درويش.

٣- ابدأ مشروعك ولا تتردد- د. نبيل محمد شلبي.

٤- مهاتير محمد نجاح بلا حدود- مي كمال الدين.

٥- تجربة بنك الفقراء- د. مجدي سعيد.

٦- الباز.. من الأهرام إلى القمر- نهى سلامة.

٧- ممر التعمير وسيلة لتأمين مستقبل الأجيال المقبلة – د. فاروق الباز.

٨- أحلام أهل المصابيح- خالد البلشي.

٩- رؤية عامة على تطور التعليم الطبي في العالم وموقع كلية دبي الطبية- د. زهيرة عابدين.

١٠- تفهنا الأشراف النماء بسرّ الشريك الأعظم- مليجي مجاهد.

١١- قراءة في تجربة ماليزيا التنموية- عبدالحافظ الصاوي.

١٢- كيف تهزم الفقر؟- د. محمد شريف بشير

الفهرس



نبذة عن المؤلف

- حاصل على دكتوراه إدارة الأعمال
- مدرس بجامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية
- محاضر في مجالات التنمية بالبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة
- كاتب بالصحافة المصرية والعربية

د/ محمد سعد أبو العزم

البريد الالكتروني: mwsad@hotmail.com

صدر أيضًا للناشر

في مجال التراجم والدراسات التاريخية

نظرة فى التفسير الإسلامى للتاريخ	د. عبد المعطى محمد سمسم
العلاقات بين الجزيرة العربية وبلاد الحبشة منذ أقدم العصور	د. عبد المعطى محمد سمسم
العلاقات بين شبة الجزيرة العربية وبلاد الرافدين منذ أقدم العصور	د. عبد المعطى محمد سمسم
فرقة الإنكشارية	د. سونيا البنا
اليهود في ليبيا و تونس و الجزائر	د. عطا أبو رية
تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبى	أ.د. أحمد فؤاد متولى
يهود مصر بارونات وبؤساء	أ. عرفة عبده
آية الله الخالصى	أ.د. محمد نورالدين



إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع

١٣ شارع حسين كامل سليم - ألماظة - مصر الجديدة - القاهرة

ت : ٢٤١٧٢٧٤٩ - فاكس : ٢٤١٧٢٧٤٩ - ص.ب : ٥٦٦٢ هليوبوليس غرب - رمز بريدى ١١٧٧١

E-mail: etraccom@gmail.com